وزارة التعليم العالي والبحث العلمـــــــــي
جامعة محمد خيضر- بسكر ة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية
شعبة التاريخ

محاضرات في مقياس منهجية وتقنية البحث التاريخي 01
السداسي الأول

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية تاريخ

إعداد الدكتور: الصادق عبد المالك

الموسم الجامعي 2022-2023

مقدمة

اجتهد المؤرخون والباحثون التاريخيون للبحث في دراسة التاريخ ومعناه وتقنياته ومنهج البحث فيه، وكذا تطوره عبر الزمن ومجالاته المختلفة وتفسيره من أجل الوصول إلى الحقيقة واستنباط العبر، وإبراز فوائده وفضله وأهميته في بناء الأمم والمجتمعات المختلفة عبر العصور.

وفي هذا السياق تم تخصيص هذه الدراسة المتواضعة التي سنحاول من خلالها الإجابة على بعض التساؤلات المطروحة حول منهجية وتقنية البحث التاريخي كمكتسب من المكتسبات التي تساعد الباحث كي يكتب بحثا تاريخيا صحيحا وسليما وخاليا من الشوائب، وذلك من خلال التعرف على هذا العلم وتطوره ومعرفة المؤرخين وتوجهاتهم في البحث والكتابة، وهل أن مؤرخي الغرب والمؤرخون العرب سلكوا نفس النهج والتوجه في هذا المجال، أم أن الأمر يختلف؟ وما هي أهم العلوم المساعدة للتاريخ؟ وما هو المقصود بالحقيقة والموضوعية في التاريخ؟ وهذا كله من أجل مساعدة الباحث على الالمام بالتاريخ على اعتبار أنه ثمرة من ثمرات المعرفة الإنسانية.

وللإجابة على التساؤلات تم الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع التاريخية الكثيرة والمتنوعة والتي ترتبط بموضوع الدراسة، فعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتني خاصة فيما تعلق بكثرة المراجع وتنوعها وتوجهات المؤرخين واختلاف مدارسهم إلا أنني ذللت تلك الصعوبات بتبسيط الأمور لتسهل قراءة البحث والاستفادة منه.

المحاور:

01- علم التاريخ (تعريفه، مكانته ومجال البحث فيه).

02- علم التاريخ عند الغرب من هيرودوت إلى توينبي، علم التاريخ عند العرب من الطبري إلى ابن خلدون.

03- العلوم التي لها صلة بالتاريخ.

04- الحقيقة والموضوعية في التاريخ.

المحاضرة الأولى: علم التاريخ (تعريفه ومكانته ومجال البحث فيه).

تمهيد:

مما لا شك فيه أن للتاريخ معاني وأسس وأهداف مختلفة نظرا لما يحتويه المعنى في حد ذاته من مفاهيم متعددة تعنى بدراسة جوانب عديدة للمجتمعات الإنسانية عبر العصور، وذلك من أجل معرفة الحقائق التاريخية والوقوف عليها والتمكن منها لتدوينها وحفظها واسترجاعها متى أراد الباحث أو المتعلم أو المؤرخ أو كل من يكتب في التاريخ بمنهجية سليمة وصحيحة ذلك[1].

ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار التاريخ أنه حرب ضد النسيان تستطيع من خلاله السلالات المتتابعة أن تجتمع في رجل يتعلم بانتظام وباستمرار[2]، له غاية واحدة هي دراسة ومعرفة ما عاشته البشرية في القديم وفي سالف الأزمان وغابرها، وأماكن وقوعها وأسبابها ونتائجها وأخذ العبرة منها والتزود بها[3].

1- تعريف التاريخ.

قبل الخوض في تعريف التاريخ وجب مناقشة نقطة مهمة ألا وهي:

- هل أن هذه الكلمة هي نفسها في المدلول عند المجتمعات العربية والغربية، أم أن الأمر يختلف؟

وللإجابة على هذه الإشكالية وجب دراسة هذه النقطة المهمة على أكثر من صعيد وذلك بقراءة وتحليل ما توصل إليه المؤرخون العرب أو غيرهم من أجل الوصول إلى الحقيقة.

اجتهد المؤرخون العرب المسلمون للوصول إلى إثبات ورود إشارة للتاريخ في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فلم يجدوا أي شيء، كما خلت مؤلفات الأدب الجاهلي كذلك منه[4].

---

[1]- حسام عبد الله، طرق تدريس التاريخ لجميع المراحل الدراسية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003، ص21.

[2]- صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 2008، ص16.

[3]- المرجع نفسه، ص17.

[4]- ميمونة ميرغني حمزة، دراسات في منهجية البحث التاريخي، ط1، منشورات المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 2010، ص13.

وبناء عليه فقد دار حوار طويل حول المعنى الحقيقي للكلمة، فالمؤرخون العرب اتجهت بعض أطرافهم إلى التأكيد على أن كلمة تاريخ بالهمزة أدق منها بالألف اللينة، فيما يرى البعض الآخر عكس ذلك تماما، مفسرين التاريخ على حسب أهوائهم وآرائهم المختلفة، أما الغرب فقد تنوع التاريخ عند الأوربيين بين كلمة History بالإنجليزية، وHistoire بالفرنسية، وGeschichte بالألمانية وتستعمل في الغالب لنفس المعنى.

ومن أجل التمييز بين المعاني السابقة اجتهد بعض علماء الغرب الأوروبي بإطلاق بعض الفرنسيين مثلا في كتابة Histoire بـ H الكبرى للدلالة على الماضي وكلمة Histoire العادية للدلالة على العلم، أما الالمان فقد احتفظوا بالكلمة السابقة للمعنى الأول وكلمة Histoire للمعنى الثاني[1].

أ- تعريف التاريخ لغة:

يرى البعض بأن كلمة تاريخ ليست عربية وهي عبرية الأصل ومنقولة من الأصل " **يَأْرِيخَ** " ومعناها القمر أو مشتقة من " **يَرَخَ** " ومعناها الشهر، وبالتالي فهي تحديد الشهر أو الوقت[2].

وعلى الرغم من أن الكلمة ومعناها لم يبتعدا كثيرا عن المضمون إلا أن الأصل السامي لكلمة "**وَرخ**" – أي القمر – جاءت في اللغة العربية في كلمة "**ياريخ**" وتعني الشهر، وقد فرق الأصمعي بين اللغتين حيث قال: " بنو تميم ورّخت الكتاب توريخا، وقيس تقول أرّخته تأريخا"[3].

أرجع البعض الآخر من المؤرخين والباحثين إلى الأصل الأكدى لكلمة "**أرخو**"، وبحسب ما ذكره صاحب عبد الحميد فإن أغلب المؤرخين والمدققين يرجعون أصلها إلى العرب وهي مأخوذة من الفعل "**أرخ**" ذات المعنيين التاليين:

الأول: **أَرَخَ، يَأْرَخُ، أَرْخاً** ومفهومها في اللغة العربية **حَنَّ**.

الثاني: يَأْرَخُ، أَرْخاً، ومعناه أوضح وبيّن الوقت.

وفي تفاسير أخرى، يقال **أَرْخ الكتاب** أي بين وقته، **وأَرَّخ الكتاب** أي حدد تاريخه[4].

---

[1]- أنور محمود زناتي، علم التاريخ واتجاهات تفسيره، اقتراب جديد، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، (د.ت.ن)، ص 26.

[2]- صائب عبد الحميد، مرجع سابق، ص 14.

[3]- أنور محمود زناتي، مرجع سابق، ص 13.

[4]- صائب عبدالحميد، المرجع السابق، ص 14.

وخلاصة القول ومن الناحية اللغوية نستنتج أن التاريخ يعنى بالزمن والوقت.

يقول المؤرخ "**السخاوي**" في كتابه "**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**" بأن التاريخ هو تذكير وإعلام بالوقت، أما "**الجوهري**" فيرى بأن المعنى مشتق من **الأرَخ** بفتح الهمزة أو كسرها، وهي أنثى بقر الوحش لأن التاريخ شيء حدث كما يحدث المولد[1].

يرى "**ناصر الدين سعيدوني**" متفقا مع ما ذكره "**أنور محمود زناتي**" بأن التاريخ مشتق من اللفظ السامي، حيث ترد الكلمة على لفظين هما:

تاريخ بإثبات الهمزة ومعناها القمر أو الشهر تقابلها كلمة **استوريوغرافيا Historiographie** مستندا في ذلك على ما ذكره السخاوي في كتابه سالف الذكر، فبالنسبة لـ"سعيدوني" فإن الذي قام شاهدا يعرف بالإستور **Histor**، وبذلك فإن المؤرخ في مقام الشاهد على الوقائع أو الراسم للوحة بيانية عن مجرى الأحداث والحوادث التاريخية التي علم بوقوعها خلال العصور، وهو ما جعل **هيرودوت Herodots** في القرن الخامس قبل الميلاد يعرف التاريخ في كتابه عن الحروب الفارسية بأنه "**عرض للاستقصاء والمعرفة الهدف منه ألا تندثر أعمال التاريخ**"[2].

وعلى خلاف ذلك تعددت آراء أخرى فذكرت المعاجم العربية أن الكلمة معناها "**تعريف للوقت وللتوريخ مثله**"، ورجح آخرون اشتقاقها من اللغة الفارسية زاعمين بأنها مأخوذة من كلمة "**ماه روز**" المراد بها تعيين بدء الشهر، وعربوها وقالوا "**مؤرخ**" وجعلوا المصدر منها **التاريخ**، في حين يرى آخرون أن هذا التفسير خاطئ وحجتهم في ذلك أن جذور "**ورخ**" عربي قديم مأخوذ من لغة جنوب اليمن وليس ما يشاع على أنها فارسي أو عبري، فيذكر مثلا المؤرخ **مصطفى شاطر** واعتمادا على ما ذكره المؤرخ **مرغيلوث Margoliovth** أن اللفظة موجودة في لغة قديمة هي الفينيقية والأكادية والعبرية والسريانية والعربية الجنوبية والتي تعني "**الشهر**" أو "**القمر**"[3].

استنادا إلى ما سبق ذكره وتم استخلاصه فإنه يمكن القول بأن مفهوم التاريخ يتكون من ثلاثة مكونات أساسية مترابطة ترابطا وثيقا ومتينا وهي:

- تحديد الوقت الذي وقعت فيه الحادثة وزمانها.

---

[1]- محمود محمد الحويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2001، ص 10.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص 07.

[3]- ع الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004، ص16.

– سجل لخبرات الإنسان وما جمعه عبر تعاقب العصور.

– بحث واستقصاء عن سجل الخبرات وما خلفته البشرية من آثار أو معلومات موثقة ومدونة[1].

ب– تعريف التاريخ اصطلاحا:

التاريخ كمصطلح له العديد من المفاهيم، أولها وأهمها توقيت الأحداث، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم "**يسئلونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج**" **البقرة، آية 189.**

فمن خلال هذه الآية الكريمة عرف المسلمون أوقات الصوم والحج، كما أسند تعريف الوقت إلى أحداث وحوادث مهمة طبيعية كالزلازل والطوفان، كان يقال مثلا ولد فلان قبل الطوفان وما إلى ذلك من الأحداث، ليتسع فيما بعد مجال البحث في التاريخ إلى دراسة ومعرفة كل صور النشاط البشري منذ سيدنا آدم عليه السلام، أو لنقل منذ بدأ النشاط البشري فوق سطح الكرة الأرضية، وخير دليل على ذلك ما ذكره ابن خلدون على أنه ذكر للأخبار المتعلقة بعصر أو جيل ما، أما السخاوي فالتاريخ عنده يشمل مولد الرواة والأئمة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج، في حين يصفه السيوطي على أنه معنى بمعرفة أحوال الطوائف وبلدانهم وعاداتهم وتقاليدهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم[2].

يطلق مصطلح التاريخ مرة على الماضي البشري ذاته، ومرى أخرى على العلم المعني بهذا الموضوع، وهذا الاشتراك يتفق في المعنى ولفظها "**إستوار**" مع مبالغة في تخفيف الراء كلاهما تدلان على الماضي البشري وعلى علم التاريخ أيضا[3].

أطلق العرب لفظة تاريخ على كتب تراجم الرجال وهو ما حدث في تاريخ البخاري وابن القفطي في مؤلفه "**تاريخ الحكماء**" وهو عبارة عن دراسة في أخبار أهل العلم والحكماء، فيقال: "**فلان تاريخ قومه**" أي أنه ينتهي شرفهم ورئاستهم[4].

وعلى العموم فللتاريخ معاني متعددة تتفق كلها في معنى واحد وهو أن الكلمة تدل بصفة عامة على العلم الذي يسعى إلى الحفاظ على الذاكرة الإنسانية وانقاذ حقائق الماضي من الاندثار والنسيان[5]، ومجموعة الحوادث التي ظهرت في ماضي حياة البشرية والتي وجب

---

[1]– سر الختم عثمان علي، أصول تدريس التاريخ، دار أشواق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992، ص 24.

[2]– ميمونة ميرغني حمزة، مرجع سابق ، ص14.

[3]– صائب ع الحميد، مرجع سابق، ص 13.

[4]– المرجع نفسه، ص 14.

[5]– أنور محمود زناتي، مرجع سابق، ص 15.

توثيقها وتدوينها وتسجيلها وتحقيقها وتفسيرها في تسلسلها وتعاقبها عبر الزمن منذ بدء الخليقة إلى غاية اليوم[1].

وعليه نستنتج أن التاريخ مصدر أساسي للمعرفة الإنسانية يبلغ من الأهمية إلى أنه يسافر بين الماضي والحاضر حاملا بين دفتيه كل التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي مرت بها البشرية منذ قدر للإنسان أن يترك آثاره على سطح الأرض إلى أن يرثها الله سبحانه وتعالى ومن عليها[2].

ج- المعنى العام للتاريخ:

كثرت على مر التاريخ منذ القديم إلى غاية الوقت الحاضر تعاريف عدة للكلمة، فسيّد الخلق محمد (ص) كثيرا ما حدث رفاقه وأصحابه بأخبار الأمم الغابرة التي سبقته وسبقتهم، ويحكي لهم ما يشرح الصدر ويقوي الإيمان ويؤكد الفضل وخير دليل على ذلك كتاب بدء الخلق من صحيح البخاري وهو كفيل بتفسير ذلك كله[3].

كما يعتبر العلامة ابن خلدون أول من أشار بصريح العبارة إلى فكرة التاريخ في مقدمته حينما قال: "...**وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو أصيل في الحكمة عريق...**".

أما السخاوي فقد اعتبر التاريخ ركيزة للأمم، فمن غير المعقول أن لا توجد أمة ما أو دولة ليس لها تاريخ، فكل الدول والشعوب ترجع إلى ماضيها وتاريخها ينقلها خلفها من سلفها، وحاضرها عن غابرها، لكي لا ينقطع الوصل، فالنظرة السليمة تستشرق إلى معرفة البدائيات وإدراك المنشئات[4].

ارتقى ابن خلدون بالتاريخ الإسلامي محددا بذلك مجال علم التاريخ، فيما تراوحت بعض الكتابات الأخرى في تحديد طبيعة ومجال البحث فيه، حيث تكاملت تلك التعاريف في مفهومها وتنوعت في نظرتها وتمايزت في اهتمامها، فمنها من عرفته على أنه معرفة لماضي

---

[1]- جاسم سلطان، فلسفة التاريخ، الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، ط4، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، مصر، 2005، ص 12.

[2]- عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر، في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر، 1993، ص 22.

[3]- محمود موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، ط1، نشر وتوزيع، دار الامة، العربية السعودية ، 2016 ص 13

[4]- محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 09.

البشرية منذ الأزل وحتى وقتنا الحاضر وأنه العلم الأول للبشرية وهو ما ذهب إليه المؤرخ " **مارك بلوك** Mark Bloch "، في حين اعتبره مؤرخ آخر أنه علم عددي بقدر ما هو كيفي، ويذهب آخر إلى القول بأنه صورة فكرية للحضارة، وفضلا على ذلك كله تذهب بعض الكتابات الأخرى إلى التأكيد على أنه يسجل الماضي الذي يظهر الصراع بين البشر والتفاعل بين الإنسان وأحداث بيئته، وبالتالي فهو دراسة لجهود الإنسان في الماضي في كافة المظاهر، وناهيك عن ذلك كله فهو حوار بين الماضي والحاضر وبين الأجيال وتجربة مدونة للجنس البشري[1].

تباينت التعاريف والاتجاهات بين البحث عن الحقائق الثابتة وتوثيقها خاصة مع رواد القرن التاسع عشر الميلادي، إلى درجة أن هناك من يعتبره تفسير للحقائق وربط بعضها مع بعض وجمعها كمادة أولية، ثم يكسبها مفهومها التاريخي، وفي الحالتين فالمؤرخ هو محور الموضوع[2].

يرى المؤرخ حسن عثمان بأن لفظ التاريخ يدل على معان متفاوتة، فبالنسبة إليه إن بعض الكتاب يعتبرون أن التاريخ يشتمل على المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله بما يحتويه من كواكب وأجرام ومن بينها كوكب الأرض وما جرى على سطحه من حوادث للإنسان، فالمؤرخون الأقدمون بدأوا كتاباتهم بالكلام عن نشأة الأرض، أما المحدثون فقد درسوا نشأة الكون والأرض وما ظهر فوقها من مظاهر الحياة المختلفة ومن بينهم "**هـ، ج، ولز**" في كتابه "**موجز تاريخ العالم**" الذي عرض فيه تواريخ الأمم والشعوب ووحدة الأمم على الرغم من جزئيات تواريخها وتفصيلاتها[3].

2- هل التاريخ علم أو فن.

خلقت هذه الإشكالية جدلا كبيرا بين المؤرخين والمفكرين، ودار نقاش كبير وطويل حولها، حيث يرى البعض بأن التاريخ علم نظرا لما تحتويه الكلمة من معنى بحيث أن كلمة العلم هي نوع من أنواع المعرفة التي تقوم على الدليل والاستنباط، وعلى الدليل والتدليل، ومن هؤلاء المفكرين " **إكسندر هل**"حيث قال:"... **إن كل معرفة معقولة فهي علم**"، أما الأستاذ "**كارل بيرسون Karl Peorson**" فيرى أن وظيفة العلم هي تصنيف الحقائق والتعرف على

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 13.

[2]- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 19.

[3]- سر الختم عثمان علي، مرجع سابق، ص 22.

أهميتها سواء في تتابعها، أو بالنسبة إلى بعضها البعض، في حين اعتبر الفيلسوف الأمريكي " **تيجارت Teggart** " إن العلم ليس إلا البحث المنظم عن الطريقة التي تتضح في إحدى الظواهر[1].

يقول **هرنشو**:"....**إن التاريخ ليس علم تجربة واختبار، ولكنه علم نقد وتحليل وتحقيق، وإن أقرب العلوم الطبيعية شبها به هو علم الجيولوجيا، فكل من الجيولوجي والمؤرخ يدرس تاريخ وآثار الماضي والحاضر معا، ويزيد عمل المؤرخ عن الجيولوجي حيث يفسر العامل البشري الإرادي الانفعالي ليقترب قدر المستطاع من الحقيقة التاريخية**..."[2].

وعكس هذه الآراء يؤكد أحمد زكرياء الشلق بأن التاريخ فن منذ نشأته، فهو أقرب إلى القصة والرواية يرويه القصاصون من جيل إلى جيل شفاهيا أو مدونا يضيف كل منهم إلى وقائعه ما شاء من المبالغة والبلاغة فتختلط الحقائق بالأساطير.

ويوضح الشلق بأنه إذا ما استعرضنا آراء الفلاسفة والمفكرين بشأن هذا الجدل، فإنه يمكن إبراز اتجاهان ينكر فيه الأول بأن التاريخ علم ومنهم "**وليام جيوفز**" الذي ذكر في كتابه "**أصول العلم**" بأن التاريخ لا يمكن أن يكون علما لأنه يعجز عن إخضاع الحقائق التاريخية لما يخضعه له العلم من المشاهدة والفحص.

يرى أصحاب نظرية أن التاريخ فنا بأن المؤرخ يطلق العنان لخياله الواسع الغني وموهبته منكرين بأن التاريخ علم، فالفيلسوف الألماني **شبينغلر (1880- 1936)** اعتبر بأن التاريخ هو شرط الكينونة فلا يوجد علم تاريخ لأن الأصح أنه يوجد علم مساعد للتاريخ يؤكد ما كان وما حدث، فالأحداث التاريخية والمعلومات لا تتكرر، على عكس المعلومات الطبيعية فهي تكرر نفسها، ولذلك يوجد فرق واختلاف بين الاثنين، فالأولى وقائع والثانية حقائق، فالوقائع تتبع الواحدة الأخرى أما الحقائق فتنشأ الواحدة منها عن الأخرى، ولذلك كلما ابتعد البحث التاريخي عن العلم الحقيقي فإن ذلك أحسن وأفيد للتاريخ، بيدَ أن التاريخ يحمل طابع الحقيقة المفردة التي لا تتكرر، عكس الطبيعة التي تحمل طابع المحتمل حدوثه دائما[3].

---

[1]- أنور محمود زناتي، مرجع سابق، ص 35.

[2]- المرجع نفسه، ص 36.

[3]- عارف أحمد اسماعيل المخلافي، محاضرات في مدارس تفسير التاريخ (فلسفة التاريخ نشأة الحضارات وتطورها وسقوطها)، ط1، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، اليمن، 2007، ص 32.

يذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته بأن التاريخ فن فيقول: "... أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ..."[1].

ومن خلال ما ذكر سابقا فقد دافع أصحاب النظريتين عن موقفهما مستدلين في ذلك إلى تفاسير تعليلية لتوضيح وجهة نظرهما واختلاف آرائهما من خلال الجدل الدائر والإشكالية المطروحة وبين اختلاف الاثنين، وظهر اتجاه آخر يرى بأن التاريخ نوع من الأدب يعنى بالتدوين القصصي لمجريات الأحداث[2]، فبعض رجال الأدب وتماشيا مع ما تم ذكره اعتبروا بأنه سواء أكان التاريخ علما أم لم يكن فهو فن من الفنون، وأن العلم لا يمكنه أن يعطينا عن الماضي سوى ما بقي من العظام المعروقة اليابسة بحسب ما ذكروه ومع ما تم وصفه، ذلك أنه لابد من الاستعانة بالخيال لكي تنشر تلك العظام وتبعث فيها الحياة، ثم هي بحاجة إلى شخصية وبراعة الكاتب حتى تظهر في ثوب وشكل جديد يليق بها[3].

3- أهمية دراسة التاريخ:

تكتسي دراسة التاريخ أهمية قصوى كونه مساهما وعنصرا فعالا تبنى عليه المجتمعات في تطورها وتخلفها في نفس الوقت نظرا لعلاقته الوطيدة بجميع العلوم.

يعتبر التاريخ همزة وصل بين الماضي والحاضر يجعل الإنسان يتصل بأجداده وأصوله التي هو امتدادها كما يعد من أهم المقومات الشخصية والوطنية، إذ يستخدم إذا أحسنت دراسته كأداة لترسيخ الوحدة الوطنية ووسيلة نضال ضد القوى المعادية والمستعمرة للأمة على مر العصور[4].

وناهيك عن كل ما ذكر، فالتاريخ مادة أساسية من مواد البحث في القديم والحديث والمعاصر، وضروري لمسيرة الإنسان ، مهما بلغ التقدم العلمي بالإنسان مبلغ الاستيطان خارج كوكب الأرض.

يذكر السخاوي عن أهمية وفائدة التاريخ فيقول: "**.... والتاريخ يتناول أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وسلم، فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم والحكماء وكلامهم والزهد والنساء ومواعظهم، عظيم العناء، ظاهر المنفعة، فيه ما يصلح الإنسان به أمر معاده**

---

[1]- للاستزادة أنظر، ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة، مصر، 2012.

[2]- للاستزادة أنظر، أحمد زكرياء الشلق، ما لتاريخ وكيف نفسره، ط01، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2016.

[3]- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط 08، دار المعارف مصر 2000، ص 17.

[4]- نجاة سليم محاسيس، مفاتيح علم التاريخ، ط1 دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 76.

ودينه وسريرته في اعتقاداته وسيرته في أمور الدنيا، وما يصلح به أمر معاده ودينه وسريرته في الدنيوي... وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم وأسباب مبادئ الدول وإقبالهم ثم انقراضها وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء وما يتصل بذلك من الأحوال التي يتكرر مثلها وأسبابها أبدا في العالم، عزيز النفع كثير الفائدة، بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله، وجرب الأمور بأسرها، وباشر تلك الأحوال بنفسه، فيعزز عقله، ويصير مجربا غير غرٍ ولا غَمَزْ....."[1].

إن للتاريخ فوائد لا تحصى ولا تعد، لعل أهمها معرفة السنن الربانية بحيث أرشدنا المولى سبحانه وتعالى إلى سننه في خلقه من أجل معرفتها وكيفية التعامل معها، فذكر مثلا القرآن الكريم في **الآية 137 من سورة آل عمران "قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين"**، ويقول أيضا عن مداولة الأيام بين الناس وزوال الأمم بانتشار الفساد والظلم "**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين" الأعراف 56**، ويقول في سورة **يونس الآية 81** " **إن الله لا يصلح عمل المفسدين** "، وللتاريخ كذلك فائدة جمة وهي التعرف على معالم تاريخ البشرية من خلال معرفة تاريخ الأنبياء والرسل، كسيرة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ومدى معرفة أثر الإسلام في حياة البشرية جمعاء وتأكيد العديد من الحقائق في حياتهم وذلك بتمكينهم من حصانة فكرية تمنعهم وتحيدهم من الانحراف عن منهج الخالق سبحانه وتعالى[2].

يعتبر التاريخ وعاء كبير نقل لنا كل أنواع وألوان المعارف والعلوم المختلفة دينية كانت أم دنيوية، كما خلد أسماء كثيرة ورواد كثر لهذه العلوم، ولكل من أبدع علما وفنا، فكان بذلك دافعا لخلق مجال للتنافس والالتحاق بركب الأولين وبالتالي فهو التعلم من الماضي لتدبير شؤون الحاضر وتفسير أحداثه للاستفادة منه في المستقبل، فمن لم يستفد من التاريخ حكم عليه بتكراره، فالتاريخ فيه حل كثير لمشاكل الدول وحفظ الممتلكات للأفراد والمجتمعات والأنساب التي يترتب عليها صلة الرحم[3].

---

[1]– محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 22.

[2]– محمد بن صامل السلمي، المدخل إلى علم التاريخ، ط2، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، السعودية، 2009، ص 10.

[3]– سعد بدير الحلواني، تأريخ التاريخ، مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه، ط2، (د.م.ن)، (د.ب.ن)، 1999، ص 18.

يستفاد من التاريخ أيضا في المساعدة على نشر الفكر والثقافة وما خلفته الحاضرات الغابرة، ودليل ذلك استفادة الغرب الأوروبي من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فالمستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه(1913م-1999م)** في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" دونت فضل حضارتنا على أوروبا، ومدى استفادتهم منها في مجالات علومهم وحياتهم المختلفة، فالتاريخ من هذا المنظور يساعد في فهم حركة التطور في المجالات الاجتماعية والثقافية وغيرها وكذلك استمراريتها من الماضي إلى الحاضر، وما يطرأ عليها من تغييرات تمس حالة تطورها وما ينتظر منها في الأزمنة القادمة[1].

يقول **بوركار Burchardt** " إن التاريخ سيد الحياة "، ويعقب عليه **نيتشه Neitsche** في قوله: "إن الإنسان يجب أن يُعِمَّ بالأحداث الخاصة بحياته خلال الأزمنة المختلفة، فمعرفة الماضي مطلوبة لكي تكون في خدمة الحاضر والمستقبل، وليس لإضعاف الحاضر أو لاجتناب جذور القوى الحيوية للحياة في المستقبل".

يتبين من خلال هاذين القولين قيمة التاريخ وفائدته في تربية الفرد، ذلك أن هناك تماثلا ما بين حياة الإنسان وتاريخ الإنسانية، فالإنسان هو الأصغر والإنسانية هي العالم الأكبر، وبالتالي فدراسة التاريخ تمكن الفرد أن يدرك عن نفسه وعن علاقته بغيره الشيء الكثير[2].

وبالإضافة إلى ذلك فللتاريخ قيمة في حياة المجتمعات والأمم ولرجال السياسية أيضا، حيث تتخذ منه بعض الدول وسيلة لنشر المبادئ التي تؤمن بها، كما أنه مدرسة لتعلم طريقة البحث السياسي فالسياسية ليس فيها شيء ثابت مثلها مثل المؤرخ عند شروعه في بحث حادثة معينة فلا سبيل أمامه للوصول إلى الحقيقة الثابتة المطلقة[3].

يقول الفيلسوف الإنجليزي **سيلي Seley**: "...إن التاريخ هو مدرسة السياسية"، بمعنى أن السياسي إذا لم يكن له قدر كافي وملم بقدر كبير من التاريخ القومي والكلي فإنه لا يستطيع شق طريقه بنجاح لأنه سيجهل وجهة نظر استنتاجه للأحداث المعاصرة، فالقائد السياسي من أشد الناس حاجة إلى فهم التاريخ، لكي يستطيع إقناع الناس والرسو بسفينته وقيادة أمته إلى بر الأمان، مثله مثل المشرع والقانوني الذي يريد وضع وسن القوانين، فالقضايا ستبقى

---

[1]- سعد بدير الحلواني، مرجع سابق، ص 19.

[2]- شوقي الجمل، علم التاريخ، نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 1997، ص 79.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 80- 81.

هي نفسها، ومشاكل الفرد لن تتغير على الرغم من تغير ظروفها وطبيعتها، ولهذا لا يزال التاريخ السياسي يحتفظ بمركزه ويحظى بالاهتمام الأول لدى كثير من المؤرخين والباحثين[1].

إن التاريخ يمد السياسي بتجارب سابقة يستفيد منها فكل المشاكل الكبيرة المعاصرة سياسية كانت أم اجتماعية لها تاريخ قديم، فهو يعطيه الأصول الواقعية لمشاكل الوقت الحاضر، وبالتالي فهو أساس للتقدم السياسي ومستودع للسوابق السياسية[2].

وخلاصة القول نستنتج ما يلي:

تنفع دراسة التاريخ الباحث لكي يلم بكل ما هو مفيد له، وعظيم في تاريخ أمته، وتؤدي به إلى توسيع مداركه وترسيخ مفاهيم معينة لتصبح جزءا من التربية الوطنية للدولة، وهو ما يفسر لنا سعي الحكام لإحداث تغييرات في مناهج التاريخ خاصة في المدارس والجامعات ليقينهم التام بمدى تأثير ذلك في تربية وإعداد النشأ، فهو يساعد الأمة في رسم خارطة طريقها وسياستها الحاضرة والمستقبلية عن طريق معرفة كل ما يعترضها من عقبات تقف أمام قوتها، فدراسته تساعد على فهم العناصر المشتركة لتكوين الأمة إقليميا ومحليا[3].

4- مجالات البحث في التاريخ.

يتناول التاريخ العديد من المجالات فلا يمكن الاستغناء عنه نظرا لحاجة الأمة المتنوعة له سواء دينية ودعوية وسياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية ومعرفية[4].

أ- المجال السياسي:

قد يتجه الباحث أو الطالب مثلا لاختيار موضوع بحثه، فيحدد مجاله في التاريخ السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الفكري.

ومن المعلوم كذلك أن بعض الكتابات التاريخية ارتكزت في المجال السياسي، فكان المؤرخان البريطانيان **فريمان وجون سيلي** أول من شخصا هذه النزعة، وأشارا إلى أن أي شيء خارج السياسة لا يمت للتاريخ بصلة، بل ورفعا شعارهما "التاريخ هو عالم السياسة في الماضي والسياسة هي تاريخ الحاضر"[5].

---

[1]- سيد أحمد علي الناصري، فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه، ط1، دار النهضة العربية للنشر، مصر، 1982، ص 23.

[2]- هرنشو، علم التاريخ، تر: عبد الحميد العبادي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1937، ص 153.

[3]- ميمونة ميرغني حمزة، مرجع سابق، ص ص 16- 17.

[4]- محمد موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، ط1، نشر وتوزيع دار الأمة، السعودية، 2016، ص 23.

[5]- ميمونة ميرغني حمزة، المرجع السابق، ص 166.

ب- المجال الاجتماعي:

أَرَّخ المؤلف **جورج تريفيليان (1876- 1962)** وهو إنجليزي كتابا تناول فيه التاريخ الاجتماعي لشعبه وكل ما يتعلق بهذا المجال ونشاطات متعددة تتعلق بنشاط السكان من زراعة وتجارة وما يستخدمونه من آلات وكيف يبنون منازلهم ويؤثثونها، وكل ما يتعلق بشكل الأسرة وعلاقاتها، وعادات الزواج ومعالجة الأمراض، فهو يرى بأن التاريخ الاجتماعي والفكري يساعد في فهم تكوين الأمم وتتبع مسار تطورها، كما يساعد الأجيال المتعاقبة في الترابط والانتماء للأمة[1].

ج- المجال الدبلوماسي:

بالنسبة لهذا المجال وبحسب ما ذكرته المؤرخة ميمونة ميرغني حمزة، فقد انبثق عن التاريخ السياسي حينما شرعت الدول في إقامة علاقات دبلوماسية مع بعضها البعض، خاصة بعد مراحل الحرب والسلام والتطور الاقتصادي والتنقل بين البلدان وسرعة الاتصالات، ما ينتج أيضا من مآسي خلال الحربين العالمتين الأولى والثانية، الأمر الذي دفع المؤرخين للكتابة في التاريخ الدبلوماسي حديث النشأة فبعد أن كان ينظر إليه سابقا بأنه وكما ذكرنا سابقا جزء من التاريخ السياسي، أصبح مع توفر مصادر ومراجع جديدة مادة دسمة وغزيرة لمؤرخي التاريخ الدبلوماسي للكتابة فيه[2].

د- المجال الدولي:

يعتبر التاريخ الدولي ذو مكانة هامة بين الدراسات والكتابات التاريخية بعد موجة التطور التي عرفها العالم الغربي خاصة في مجالات عدة ومن بينها وسائل الاتصال، مما أدى إلى إلغاء الحدود والفواصل بين الأمم، وظهرت اتجاهات واتحادات مختلفة سواء أوروبية أو آسيوية، ومنظمات دولية، فتأثرت بذلك الكتابة التاريخية بتلك التطورات، وتجاوزت الحدود المحلية ليصبح بذلك التاريخ دوليا استمد من خلاله المؤرخ معلوماته المحفوظة في دور الأرشيف الخاصة بالدولة التي عملت على تنظيمها وصيانتها لكي لا تتعرض للتلف[3].

بالإضافة إلى مجال البحث في التاريخ فقد ظهر في العصر الحديث مدارس للفكر التاريخي الحديث على غرار مدرسة التاريخ السياسي، ومدرسة التاريخ الاقتصادي، ومدرسة

---

[1]- ميمونة ميرغني حمزة، مرجع سابق، ص 167.

[2]- المرجع نفسه، ص 171.

[3]- نفسه، ص 173.

التفكير الاجتماعي ومدرسة التاريخ العالمي، فعلم التاريخ ليس هو فقط علم السياسة في الماضي، بل هو أيضا علم الاقتصاد في الماضي وعلم الاجتماع في الماضي وعلم الأديان والحضارات في الماضي وكل ما يتعلق بالإنسان وحضاراته قديما[1].

5- مهارات وصفات المؤرخ الناجح.

قبل أن يتصف المؤرخ بمهارات وصفات ناجحة وجب التذكير بأن تلك المهارات التي امتلكها من تفكير متعدد هي حواس وهبها الله سبحانه وتعالى للبشر استطاع من خلالها الإنسان عموما والمؤرخ على وجه الخصوص أن يدرك ويحلل ويقارن ويعلل ويفسر ويطرح أفكاره ويجيب على إشكالياته وينظم معلوماته عن وعي وإدراك قوي[2].

ربما يتصور للبعض بأن كل من يكتب أو يحاول الكتابة في التاريخ فهو مؤرخ، فالاعتقاد بأن الامساك بالقلم والقرطاس وسرد الأحداث دون ترتيب وتنظيم هو بحث تاريخي وبأن من كتب هو باحث تاريخي هو اعتقاد خاطئ، فالمؤرخ الناجح وجب أن تتوفر فيه صفات ضرورية وأن تتحقق له الظروف المناسبة تجعله قادرا على دراسة التاريخ وكتابته[3].

لا يدرس التاريخ عفوا ولا يكتب اعتباطا، وليس كل من يحاول الكتابة في التاريخ سيصبح مؤرخا، فمن الصفات الواجب توفرها فيه أن يكون أمينا وشجاعا ومخلصا لا يصرفه عن عمله غموض الوقائع والحقائق التاريخية واختلاطها أو اضطرابها[4].

كما يجب أن يتحلى كاتب التاريخ بحب الدراسة فيه والصبر على مصاعب البحث ومشقة السفر وندرة المصادر وغموض الوقائع أو اختلاطها واضطرابها وعدم التسرع في الكتابة والبحث، ذلك أن الاسراع والتعجل سوف يؤديان إلى طمس الحقيقة التاريخية[5].

المؤرخ الناجح هو ذلك الذي لا يخفي الحقائق ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطان، فالكشف عن أخطاء الماضي وعيوبه تفيد في السعي إلى تكرار الخطأ في الحاضر فكما يقال "من لم يستفد من التاريخ حكم عليه تكراره، ومن لم يزعزعه صوت الماضي، لا يمكنه بناء المستقبل"، ذلك أن عدم الكشف عن الخطأ يعد تضليلا لا يخدم المصلحة الوطنية.

---

[1]- للاستزادة أنظر، سيد أحمد علي الناصري، مرجع سابق.

[2]- أنور محمود زناتي، مرجع سابق، ص 46.

[3]- قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1990، ص 45.

[4]- حسن عثمان، مرجع سابق، ص 17.

[5]- محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 28.

يقال: "... إذا اعوزت المؤرخ ملكة النقد سقطت عنه صفته، وأصبح مجرد شخص يحكي كل ما يبلغه على أنه حقيقة واقعة..."، ومعنى هذا القول أنه ملزم للمؤرخ أن تتوفر له ملكة النقد، فلا يجوز له أن يقبل كل كلام أو يصدق كل وثيقة أو مصدر دون أن يدرسه أو يفحصه أو يستقرأه[1].

ومن الصفات المهمة أيضا للمؤرخ هي عدم التمييز، والشعور بالمسؤولية والتواضع وأن يبتعد عن حب الشهرة والظهور أمام الناس بمظهر المتعالي، وألا يكتب من أجل الحصول على الامتيازات أو الألقاب والمناصب، فكلها أمور سيأتي يوم وتزول ولا يمكنها أن تدوم مهما طال الزمن أو قصر[2].

من بين الشروط والصفات الواجب توفرها في المؤرخ أيضا أن لا تؤثر فيه عوامل الترغيب والترهيب، كما يجب عليه أن يكون ملما ببعض اللغات الأجنبية التي تعينه على قراءة النصوص والوثائق، وتساعده على الاطلاع والمعرفة الجيدة فيما يتعلق بموضوع بحثه أو الموضوع الذي يكتب فيه لاسيما لغات الأمم التي كانت لها الصدارة والسيطرة على المناطق التي يؤرخ لها ولشعوبها وساكنتها[3].

اشترط ابن خلدون في المؤرخ أن يكون "عارفا بقواعد السياسية وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة بينه وبين الغائب من الوفاق أو بين ما بينها من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملك ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعبا لأسباب كل حادث واقفا على أصول كل خبر"، وقال مؤكدا على شرط يجب أن يتوفر في المؤرخ وهو الفطنة وحسن التصور: "...ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام، وهو داء قوي شديد الخفاء... فربما يسمع السامع كثيرا من الأخبار الماضية ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها، فيجريها لأول وهلة على ما عرف، ويقيسها بما شهد، وقد يكون الفرق بينها كثيرا فيقع في مهواة الغلط..."[4].

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 92.

[2]– عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 40.

[3]– سعد بدير الحلواني، مرجع سابق، ص 25.

[4]– موسى محمد الشريف، مرجع سابق، ص ص 116– 117.

تتطلب العقلية التاريخية من الباحث أن يتقمص على قدر استطاعته شخصية موضوعه وأن يحظى شخصيته محاولا أن يتفهم لغته ومثله ورغباته وميوله وعاداته ونوازعه واتجاهاته وخصائصه كما تتطلب العقلية التاريخية منه أيضا الدفاع أحيانا عن موضوعه أكثر ما يستطيع الموضوع أن يدافع عن نفسه حتى ولو لم يؤمن بالضرورة به، فهو كالطبيب النفسي، وهذا لا يعني بالضرورة التساهل والتسامح[1].

6- مراحل البحث التاريخي

لا يمكن لأي بحث تاريخي أن يكون منقوصا من قواعد وخطوات وجب على الباحث اتباعها في كتابة بحثه، إذ أن البحث يمر بمراحل معينة، فالباحث التاريخي وفي دراسته لأي موضوع وجب عليه الاعتماد على مجموعة من العناصر واتباع خطوات وعناصر أساسية وهي:

6-1 اختيار موضوع البحث:

قد تواجه الباحث المبتدأ مشاكل وصعوبات في عملية البحث عن عنوان يناسب موضوعه، وقد تكثر شيئا فشيئا بحيث في بعض الأحيان تثبط من عزيمته وتضعف من رغبته الملحة في البحث، فالمواضع الجيدة والمناسبة لا تفصح عن نفسها بكل سهولة، والعنوانين المهمة المناسبة والصالحة للبحث تكتشف غالبا بعد جهود شاقة وعمل مضني[2].

يكون اختيار موضوع البحث موفق وناجح إذا تحققت فيه الميزات التالية:

أ- أن يكون العنوان خاصا ببحث جزء محدد من المشكلة التاريخية المراد البحث فيها.

ب- أن يتوسم الباحث في نفسه القدرة على بحث الموضوع الذي وقع اختياره عليه[3].

ج- يجب على الباحث في موضوع ما أن لا يجعل حين إقدامه على اختيار موضوع للبحث أهمية الموضوع فقط هي التي تقرر صلاحه، بمعنى أن المواضيع الثانوية كالبحث في تاريخ الأحزاب السياسية أو الانتخابات أو الحروب يمكن أن يسمى بحثا تاريخيا، بينما غير ذلك من المواضيع المهمة تهمل في عملية البحث.

د- مراعاة الحدود الزمانية والمكانية للموضوع.

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 94.

[2]- عبد الله فياض، التاريخ فكرة ومنهجا، دراسة في التاريخ وأصول بحثه، مطبعة أسعد، بغداد، العراق، 1972، ص 45.

[3]- المرجع نفسه، ص47.

هـ- أن تكون مصادر الموضوع مكتوبة بلغة يمكن فهمها فالطالب أو الباحث الذي لا يتقن الفرنسية لا يمكنه أن يكتب موضوعا في الحقل الفرنسي مثلا[1].

يجب على الباحث التاريخي أن يلتزم بأن يكون اختياره لبحثه ذاتيا، وإذا ما أرشده مشرفه أو أستاذه أو أي باحث آخر إلى موضوعات أخرى، فإنه وجب عليه مناقشتها بنفسه، وأن يكون هو الذي يحدد المراد منها، وما يراه مناسبا له، والهدف من هذا هو إبعاده عن أية مؤثرات أخرى قد تعيقه في عملية البحث، كما يجب عليه توخي الحذر في اختيار الموضوع ويكون ميالا له حتى يقدم على العمل بكل شوق وحب ولهفة له محددا بذلك خارطة الطريق لسير عمله، كما وجب أن تكون المشكلة المطروحة في البحث جديدة شكلا ومضمونا بحيث تضيف شيئا جديدا للمعرفة التاريخية في ميدان التوثيق، هذا دون أن ننسى نقطة أساسية أخرى ألا وهي أن تكون المشكلة المطروحة على قياس الباحث تراعي طاقته في العمل وامكانياته المادية والفكرية واللغات التي يتقنها ومدة العمل والعلوم المساعدة له، وبأن تكون الأصول عن المشكلة المنتقاة قادرة على تقديم ما يوضحها ويحلها من وفرة فيها وما تتضمنه من معلومات موثوقة، ذلك أن المصادر قد تعوز بعض القضايا التاريخية بالرغم من أهميتها هذا بالإضافة إلى أن يكون الموضوع الذي وقع اختيار دراسته والبحث فيه بعيدا بما لا يقل عن خمسين سنة مضت عن زمن الباحث[2].

6-2 إعداد خطة البحث:

من أهم الأسئلة التي تدور في ذهن الباحث في التاريخ هي:

- كيف يمكن إعداد خطة بحث لموضوع لا يعرف عنه أي شيء؟

والجواب بطبيعة الحال هو استحالة الانطلاق في عمل من لا شيء، وبالتالي وجب عليه أن يتعلم رسم خطة موضوعية بناء على ما توفر عنده من مصادر ومراجع ومعلومات أولية تخص بحثه العلمي مهما كانت ولو قليلة[3].

ومن أجل إعداد خطة جيدة للبحث وجب على الباحث الاطلاع على عدد معتبر من المراجع العامة حتى يستطيع التعرف على معالم الفترة المراد دراستها لتحديد أهم النقاط

---

[1]- عبد الله فياض، مرجع سابق، ص48.

[2]- ليلى الصباغ، منهجية البحث التاريخي، (د.م.ن)، (د.د.ن)، (د.ت.ن)، ص ص 146، 147.

[3]- محمد العربي معريش، دليل الطالب في منهجية البحث والعرض التاريخيين، عالم تنشيط الشباب، ط01، الجزائر، 1997، ص 16.

الرئيسية في موضوعه، ثم يقوم بتقسيم خطة بحثه مراعيا في ذلك التقسيم الزمني والترتيب الكرونولوجي للأحداث وتتابعها وتتابع مساراتها[1].

تعني خطة أي بحث تاريخي تبويب الرسالة أو الأطروحة أو أي بحث آخر تبويبا أوليا وذلك بتقسيم البحث إلى أبواب وفصول تسهيلا للدراسة، وإن كان الباحث ناقص خبرة في هذا المجال فيمكنه الاستفادة والانتفاع بجهود من سبقوه بالرجوع إلى مكتبة الجامعة مثلا ففي رفوفها الكثير من رسائل التخرج المختلفة، ويتعرف على تخطيط تلك الرسائل من أجل وضع الخطوط العريضة الأولية لرسالته وذلك بوضع عنوان مناسب وتقسيمه إلى فصول مع الأخذ في الاعتبار أن يكون عنوان الرسالة جذابا وواضحا وسهلا وشاملا لكل الجزئيات، كما يجب أن تخضع أبواب الرسالة وفصولها في ترتيبها إلى أساس سليم وفكرة منظمة مترابطة ترتيبا زمنيا وموضوعيا[2]، مدركا أن خطة البحث هي أولية وليست نهائية وبالتالي فهي قابلة للتغير سواء بالحذف أو بالإضافة وفقا لما توفر من مادة علمية، ووجب التنبيه بأن يتصف الطالب والباحث بالمرونة ولا يغرق في الخيال ولا يتمسك بخطة لا يستطيع الوفاء بها من خلال المادة العلمية المجموعة[3].

تبقى خطة الباحث خاضعة على أية حال إلى التبويب التقليدي الذي يشتمل على مدخل ومتن وخاتمة، فالمدخل أو التمهيد (المقدمة) يرجع فيه الجزئي إلى الكلي فيحرص الباحث على ذكر الموضوع الأعم أو الإطار العام الذي يندرج فيه الموضوع مع ضبط الإطار المكاني والزماني والفرعي له، أما المتن **(صلب الموضوع)** فيشتمل على أقسام وفصول متسلسلة مرتبة ترتيبا زمنيا ونوعيا وكميا متفرعة إلى جزئيات وأفكار رئيسية، تبتدأ بالتمهيد في أول كل فصل توضيحا للواقع التاريخي تحليلا ومناقشة وعرضا للأدلة والبراهين والشواهد، وبعد ذلك تحديد المسائل المهمة والرئيسية في الفصول وذلك بعرض المشكلات الجزئية التي تتفرع عنها في الفقرات التي يتألف منها كل فصل، ثم اخضاع السياق التاريخي لأسس منطقية وافكار مترابطة، وكذلك يجب وضع أسئلة استفهامية لكل نقطة في الموضوع توضح فيها الأحداث المحيطة بالقضايا المطروحة أمام الباحث، لتكون بعد ذلك الخاتمة هي

---

[1]– عادل حسن غنيم، مرجع سابق، ص 46.

[2]– محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 251.

[3]– المرجع نفسه، ص 252.

خلاصة أفكار الباحث واستنتاجاته متوخيا فيها النقد والتحقيق والموضوعية والتجرد وعدم التسرع في اطلاق الأحكام المسبقة وفي التعميم في حدود المعطيات التاريخية[1].

6-3 جمع المصادر والتعرف عليها:

تنقسم المصادر إلى قسمين رئيسيين، مصادر ومراجع، فالمصادر هي عبارة عن معلومات يستقيها الباحث من أناس لهم علاقة مباشرة بالحدث أو بموضوع الدراسة، سواء أكانوا مشاركين فيه أو حاضرين أو شهود، فهي دليل يعتمد عليه المؤرخون لوصف الماضي وتفسيره، وقد تكون تلك المصادر في شكل رسائل ويوميات ومقالات وخطب ومذكرات واتفاقيات دولية وإحصائيات رسمية وروايات شفوية وشهادات حية ومذكرات شخصية ... الخ، أما المراجع وخلافا للمصادر فدائما ما تكون نصوص مكتوبة مثل الكتب والمقالات والدوريات أو الأفلام الوثائقية كتبها أو صنعها أناس ليست لهم علاقة بالحدث، فمؤلفي المراجع يجمعون ويحللون ويفسرون المصادر[2].

تعتبر مرحلة جمع المصادر والتعرف عليها من أصعب المراحل التي يواجهها الباحث في كتابة بحثه، ومن أجل ربح الوقت والاستفادة منه وجب عليه اختيار مكتبة ذات تقاليد علمية عريقة ومعروفة تتوفر رفوفها على ما يحتاجه الباحث في بحثه، المكتبات الجامعية مثلا.

إن أول عملية وجب القيام بها هي تصفح كتب الفهارس الموضوعة في المتناول، إذ هي تحتوي على فوائد للمصادر والمراجع المختلفة ومن ثم نقل ما يهم على كراس مهيأ سلفا لهذا الأمر، وبذلك يتم الانتقال إلى فهارس الكتب **(Fichiers)** التي تنقسم بدورها إلى قديم وجديد، ثم يشرع في طلب الكتب من المكتبي بعد ملئ بطاقة صغيرة[3].

تكتسي أهمية البحث عن المراجع والمصادر أو الوثائق الخاصة بموضوع ما الكثير من الأهمية، فيجب على الباحث تتبع كل ما كتب عن موضوعه في مختلف المؤلفات وباستطاعته استشارة أهل الاختصاص وأستاذه المشرف مثلا من أجل تزويده بقائمة تضم أسماء المصادر الأولية والمراجع الثانوية، ويتحتم عليه مراجعتها ويمكنه أيضا في هذه

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص ص 35- 36.

[2]- ماري لين رامبولا، دليل الكتابة التاريخية، تر: تركي بن فهد آل سعود، محمد بن عبد الله الفريح، دار الملك فهد بن عبد العزيز للنشر، السعودية، 1434هـ، ص ص 26- 27.

[3]- محمد العربي معريش، مرجع سابق، ص 23.

المرحلة الاستعانة بالكتب والبحوث ذات القيمة العالية التي لها علاقة بموضوع بحثه، وعلى الطالب كذلك أن يتعرف على المشرفين على المكتبات ويتقرب منهم من أجل مساعدته، وكل من له خبرة في الموضوع من أجل إرشاده وتوجيهه إلى أهم المراجع والمصادر التي يحتاجها[1].

تحتاج كل عملية بحث ناجح إلى الرجوع إلى الأصول أو المصادر التاريخية والوثائق التي تم جمعها والبحث فيها ويطلق على هذه العملية اسم "**التقميش**"، والتي لا يمكن أن يقوم التاريخ إلا على أساسها، فإذا فقدت الوثائق أو الأصول ضاع التاريخ، وتنقسم الوثائق أو الأصول إلى قسمين:

1- الأصول أو المصادر المدونة.

2- المصادر المادية.

فالأصول أو المصادر المدونة تصنف إلى صنفين أساسين، فالصنف الأول عبارة عن مصادر أولية وتضم كل ما دونه المؤرخون القدماء ومن وثائق وكتب قديمة عاصروا أحداثها أو كانوا قريبين منها، أما الصنف الثاني فتضم المراجع الثانوية والتي هي عبارة عن مراجع ثانوية تضم مؤلفات حديثة كتبها مؤلفون معاصرون عن موضوعات قديمة وتعتمد في معلوماتها على المصادر الأولية[2].

6-4 تنظيم المصادر والمراجع:

بعد جمع المصادر والمراجع وجب على الباحث في التاريخ قراءة ما جمعه ولعل هذه الطريقة تمكنه من الانتباه إلى أي نقص أو زيادة في عناصر خطته ليعيد ترتيبها من جديد، وبعدها ينتقل إلى مرحلة التنظيم والتي تحتاج إلى طريقتين تنظم على أساسهما المادة العلمية وهما:

1- إذا كانت المراجع والمصادر شحيحة وجمعت في قصاصات صغيرة، وكل قصاصة تتضمن فكرة معينة مختلفة عن بقية الأفكار الأخرى ينبغي هنا على الباحث أن يقرأ ويركز جيدا أكثر من مرة ليقتنع بما هو موجود فيها ويضع خطة مرتبة أول بأول ويعيد ترقيم قصاصاته مرة أخرى على ضوء معلوماته الجديدة قبل الشروع في مرحلة الكتابة والتحرير[3].

---

[1]- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص ص 130، 131.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 124- 125.

[3]- محمد بن عميرة، منهجية البحث التاريخي، ط02، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 75.

2- أما إذا كانت المادة متوفرة بكثرة وجمعت في أوراق كبيرة ففي هذه الحالة يبدأ العملية بقراءة العنصر الأول أكثر من مرة كذلك لفهم واستيعاب المعلومات وبعد ذلك يرسم خطته الشاملة للأفكار الرئيسية للفصل والتي تسجل في شكل عناوين جزئية مرتبة ترتيبا منطقيا، مع مراعاة قراءة العنصر الأول جيدا من أجل توزيع أرقام عليها بحيث يسجل رقم 01 أمام المعلومات المناسبة لعنصره والتي تدخل في إطاره، وتسري العملية على بقية الأرقام بحيث يوضع كل رقم أمام المعلومات المناسبة لعنصره والتي تدخل في إطاره، وتسري العملية على بقية الأرقام بحيث يوضع كل رقم أمام المعلومة التي تناسبه والتي تحدد بدايتها ونهايتها بقوس معقوف، ثم يعاد ترتيب الأوراق كما كانت قبل عملية الفرز، ثم تفرز الأوراق التي توجد هوامشها اليمنى ويتعامل معها بنفس الطريقة وتعالج بقية الأرقام بنفس الكيفية ومع بقية العناصر الشاملة لخطة الجمع[1].

وجب التنبيه إلى نقطة هامة وأساسية بعد حصر المصادر والمراجع وترتيبها، ألا وهي القراءة والتي تمر بدورها عبر مرحلتين أساسيتين فالمرحلة الأولى تسمى القراءة التمهيدية أو القراءة الأفقية أما المرحلة الثانية يطلق عليها اسم القراءة المنهجية المتعمقة، وهي مرحلة جد هامة يبدأ من خلالها الباحث في تدوين الملاحظات والآراء الشخصية وأن لا يستطرد في قراءة أجزاء ليست لها علاقة بموضوع بحثه[2].

6-5 كتابة البحث: تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل صعوبة، إذ هي تحتاج إلى صبر كبير بحيث تظهر فيها شخصية الباحث وتفانيه في كتابة رسالته أو بحثه، وتعتمد هذه المرحلة على اختيار الضروري من المادة التي تم جمعها وتنظيمها وترتيبها وقراءتها لتكون بذلك الكتابة سليمة خالية من الشوائب ليصبح البحث مفيدا للقراء ومساهما في تقديم المعرفة[3].

تدخل شخصية المؤرخ والباحث في مرحلة الكتابة والتي تقوم بدورها على نقطتين أساسيتين وهما:

---

[1]- محمد بن عميرة، مرجع سابق، ص ص 76- 77.

[2]- أحمد عليوي صاحب، أسس وقواعد البحث التاريخي بين النظرية والتطبيق، دار الرياحين للنشر والتوزيع، العراق، (د.ت.ن)، ص ص131- 132.

[3]- عبد الله فياض، مرجع سابق، ص 78.

1- جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات التي لها علاقة بالموضوع ودراستها دراسة نقدية، وهي عبارة عن مرحلة تحليلية لدراسة البحث.

2- أن يصوغ المؤرخ أو الباحث التاريخي مادته التاريخية صياغة علمية متجاوزا بذلك مرحلة الرد والوصف إلى التحليل لاستخلاص النتيجة[1].

وقبل الانتهاء من هذه المرحلة والتي تعد هي أساس البحث وجب التنبيه إلى بعض النقاط والأمور المهمة في كتابة وإعداد بحث دقيق وهي:

1- أن يكون البحث أو الرسالة وحدة تامة المعنى مرتبطة الأجزاء، فيها الكثير من التبصر في الأمر وسهلة المنال.

2- يجب التفريق بين المتن والهامش فلا نكتب في المتن ما يزعزع ترابطه ووحدته أو يفصل أجزاءه.

3- أن تتجلى أقوال الباحث بالأمانة والنزاهة العلمية بحيث تظهر بمظهر التعليل والإيضاح.

4- تأييد كل حقيقة ذكرت في المتن بإشارة إلى مرجعها في الهامش.

5- مراعاة الترتيب التاريخي للأحداث في المتن للتأكد من صحة الاستنتاج[2].

6- سلامة وسلاسة أسلوب الكتابة ووضوحها، وأن تكون الحقائق متراصة بعضها ببعض.

7- الاجتهاد في تفسير الأماكن والمواضيع في صلب البحث بكلمة أو بكلمتين.

8- أن يفتح الفصل الذي سيكتب بمقدمة أو ملخص لا يزيد عن أربعة أسطر لتدل القارئ على خطة الكتابة، وأن يختم بفقرة فيها أهم ما تم التوصل إليه من نتائج.

9- المساواة في عدد أوراق الفصول.

10- أن تقرن كل سنة هجرية بنظيرتها الميلادية[3].

---

[1]- عبد الله طه عبد الله سلماني، منهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010، ص 145.

[2]- أسد رستم، مصطلح التاريخ، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2017، ص ص 115- 116.

[3]- علي إبراهيم حسن، استخراج المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط، ط2، مكتبة النهضة المصرية، مصر 1963، ص ص 45- 46.

المحاضرة الثانية: 1- علم التاريخ عند الغرب من هيرودوت إلى توينبي.

2- علم التاريخ عند العرب من الطبري إلى ابن خلدون.

1- علم التاريخ عند الغرب من هيرودوت إلى توينبي.

1-1 التاريخ الإغريقي اليوناني:

عرف الإغريق مؤلفات أدبية تاريخية تمثلت في ملحمتي الإلياذة والأوديسا المنسوبة إلى المؤرخ هيرودوت[1]، ظهرت ما بين القرنيين الثامن والتاسع قبل الميلاد، وعلى الرغم من أنها كتبت شعرا لكنها احتوت على مادة تاريخية اعتبرها البعض مصدرا يؤرخ لحقبة تاريخية ما لا توجد أية معلومات عنها[2].

عني الإغريق بتاريخ فارس وعلاقتهم بسكان المدن الأيونية فكانوا يكتبون التاريخ بأسلوب أدبي سرعان ما انتقل إلى الرومان مع العناية التامة التي تستقى منها المعلومات.

أكّد المؤرّخ **هكتيوس Hecataes** في كتاباته على: "... لست أثبت هنا إلا الحكاية التي اعتقد صحتها، فإن أساطير اليونان كثيرة، وهي عندي خرافة"، وهي مقولة إن دلت على شيء فإنما تدل على امتياز عقله العلمي، وهو الذي عني عناية كبيرة بالبحث والكتابة في أصل الشعب الإغريقي[3].

إن أهم ما يميز المفكرين والباحثين الإغريق هو شغفهم بالبحث والتحري والتعليل واستقاء المعلومات والفلسفة التي أبدعوا فيها، كما تميزوا بالتفكير العقلي الذي وجههم مباشرة إلى التاريخ من أجل الإجابة على أسئلة يجهلها الإنسان كما تصدروا لمعالجة مشاكل من أعمال الإنسان ونشاطه وحولوا كثيرا من الأساطير المقتبسة من حضارتي وادي النيل ووادي الرافدين إلى آراء وتعليلات فلسفية[4].

---

[1]- لقب بأبو التاريخ وهو أول المؤرخين اليونانيين، ولد في هاليكارناسوس وهي إحدى بلدات جنوب غرب آسيا الصغرى سنة 484 ق م، وتعرف أسرته بحبها للعلم والشعر والأساطير، تتعاطى السياسية وتنادي بالحرية والإخلاص، هاجر إلى ساموس وهو في سن 35 سنة، كما وطأت قدماه أغلب بلدان العالم في شبابه، وقيل أن المسافة التي قطعها في رحلاته نحو 1700 ميل ودامت أسفاره 17 سنة، قضى آخر أيام حياته في أثينا دارسا ومدرسا وألف العديد من الكتب، كما يعد أول مؤلف يوناني قام بعمل تاريخي متكامل ومنظم، للاستزادة أنظر، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

[2]- ميمونة ميرغني حمزة، مرجع سابق، ص 22.

[3]- سعد بدير الحلواني، مرجع سابق، ص 47.

[4]- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 70.

كما نجد في الكتابات التاريخية الإغريقية امتزاج عالم الحقيقة بعالم الخيال في كثير من الأخبار، فالشخصيات الحقيقة أضفت عليها الخرافات هالة أسطورية ملحمية ودليل ذلك ملحمة طروادة والتي تعد من أهم مصادر تاريخ اليونان، والتي مزجت بين الأحداث الواقعية والخيالية، فالشاعر هوميروس أبرز قوة وعظمة هؤلاء الأبطال في صورة تكاد تكون خيالية وذلك بتصوير إنجازات لا يمكن للعقل البشري تصديقها إلا في عالم الأساطير، الأمر الذي صنف هؤلاء الذين تم وصفهم في مرتبة الآلهة بقدراتهم ومعجزاتهم المتعددة التي آمن بها الشعب اليوناني باعتبارها أحداثا حقيقية حصلت بالفعل، أين اختلط خلالها الخيال بالواقع بطريقة دراماتيكية[1].

نسب **بلوتارك (بلوتارخوس 45 ق م-125 م)** إلى بعض الملوك القدرة على الشفاء من الأمراض المستعصية والحد من انتشارها وكذلك ايقاف الأوبئة والتحكم في الرياح، أما المؤرخ تيوسيديد (460 ق.م- 395 ق.م) مؤلف كتاب "**حرب البلويونيز**" فقد تحفظ على بعض الكرامات وعبر عن امتعاضه منها ولم يوليها الأهمية القصوى متفوقا بذلك على هيرودوت الذي نهج في كتابه أسلوب القصة التاريخية وذلك بهدف صنع المجد لنفسه ولكتاباته العظيمة لكي لا يتسرب إليها النسيان[2].

- هيرودوت الهاليكارناسي:

يروي هيرودوت التاريخ كما يروي الراوي حكاياته لجمهور يستمع فقط يجهل القراءة ولا وسيلة له للمعرفة سوى الاستماع أو المشاهدة فقط في المناسبات أو الاحتفالات الدينية، أو يقرأها على جماعة صغيرة من المتعلمين المثقفين[3].

كانت فترة الثلاثين سنة ما بين **450 و420 ق.م** الحقبة الخصبة من حياته حيث اشتغل خلالها باستقصاء أخبار وأحوال الأمم والحروب التي خاضتها المجتمعات في تلك الفترة والتي عرفت أيضا مرحلة من النشاط الفكري من حقول المعرفة، وهو نفس العهد الذي اشتد فيه الصراع بين إسبارطة وأثينا[4].

---

[1]- خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ط01، دار توبقال للنشر، المغرب، 2012، ص 65.

[2]- المرجع نفسه، ص 66.

[3]- هيرودوت، مصدر سابق، ص 08.

[4]- المصدر نفسه، ص 09.

قدم هيرودوت نتائج أبحاثه من أجل انقاذ الجنس البشري من النسيان وكذلك اثبات أن الأعمال الجميلة الممتازة التي اضطلع بها الهينيون والشرقيون سوف تتمتع بما هي أهل له من شهرة[1].

يرى البعض أن أول مؤرخ يوناني هو هكتايوس الملطي المولود حوالي **546 ق.م**، لكن الحقيقة أن البداية الفعلية لاهتمام اليونان بالتاريخ ترجع إلى ما كتبه هيرودوت فقد استخدم لفظ إيستوريا Historia اليوناني الذي يعني البحث والاستقصاء للدلالة على هذا العلم، ومن ثم فهو أبو التاريخ بحسب إجماع معظم العلماء والمؤرخين[2].

حاول هيرودوت في بحوثه العلمية الوصول إلى المصادر الأصلية لبعض القصص والروايات التاريخية التي سمع بها في بلاد اليونان، وبذل جهدا جبارا في الوصول إلى أصل "هرقل" والتحري بين هرقل أحد الآلهة الاثني عشر التي نشأت عند الثامون الإلهي قبل حكم أمازيس (أحمس) سبعة عشر ألف عام، وبين هرقل اليوناني، ومن أجل الوصول إلى الحقيقة سافر إلى مدينة صور الفينيقية ثم إلى ثاسوس لأنه علم أنه يوجد فيها معابد لعبادة هرقل[3].

عرف عن المؤرخ هيرودوت رحلاته العديدة للتعرف على عادات وتقاليد الأمم وعقائدها وأديانها وقوانينها، واستطاع بذكائه وعبقريته أن يكتب كل ما رآه بعينه وسمعه بأذنيه في أسلوب مشوق وجذاب، كما دون الصراع بين الفرس واليونان وبين أوروبا وآسيا أو بين الشرق والغرب في كتاب تجرد فيه عن الهوى والتعصب الجنسي متصديا فيه لوصف الحضارات الشرقية [4].

على الرغم من تنقلاته ورحلاته وكتاباته فقد سجلت على البحوث التاريخية لهيرودوت بعض المآخذات ولعل أهمها ما يلي:

- عدم التحقق من صحة رواياته.
- هلنية العادات الفارسية والخلط في الآلهة.

---

[1]- أرلوند توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق من هومر إلى عصر هيرانكيس، تر: لمعي المطيعي، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر 1966، ص 35.

[2]- مصطفى النشار. فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي، ط01، نيويورك للنشر والتوزيع، مصر 2017، ص 73.

[3]- المرجع نفسه، ص 80.

[4]- محمد محمود الحويري، مرجع سابق، ص 48.

– الميل إلى الأخلاقيات والمثل.

– إهمال الحدود الزمانية والمكانية بالقفز من فترة إلى فترة أخرى وتجاوز تلك الحقب، ومن بلد إلى بلد آخر، وذلك نتيجة سيطرة الأسلوب الاستطرادي على العرض التاريخي[1].

أما قيمة كتاباته ومؤلفاته التاريخية فنوجزها فيما يلي:

– أعطى التاريخ بعدا اجتماعيا حضاريا، حينما ركز على الصراع الحضاري بين اليونانيين والفرس.

– أضفى على التاريخ الطابع التحليلي وذلك بالبحث عن الأسباب الكامنة وراء الأحداث من دون أن يكلف نفسه تحديد السبب الرئيسي والجوهري[2].

– تيوسيديدس Thucydides (471 ق.م – 401 ق.م).

تظهر أهمية هذا المؤرخ من خلال كتابه "**تاريخ الحروب البلويونيزية**"، وهو عبارة عن كتاب ذكر فيه أهم أحداث تاريخ الشعب اليوناني من خلال الصراع بين أثينا وإسبرطة، أما عن هدفه من التأليف فهو كتابة وتسجيل الأحداث التاريخية لتنفع ويعتبر منها من يأتي بعده أما عن تاريخه فهو مقسم إلى ثمانية أقسام، فالقسم الأول هو عبارة عن مقدمة هامة ينتهي منها إلى تسجيل الأسباب الحقيقية لتلك الحروب، في حين بحث القسم الثاني والثالث والرابع عن سنوات الصراع الثلاث، وتناول في القسم الخامس أحداث السنة العاشرة وما بعدها من فترة تعايش سلمي مؤقت، ليعمد في القسمين السادس والسابع لكتابة وذكر وتدوين أخبار الحملة الصقلية، ليختتمها في القسم الأخير للكتابة عن الحروب البلويونيزية المعروفة كذلك باسم الحرب الأيونية التي انتهت سنة 411 ق.م[3].

برزت – بالإضافة إلى المؤرخين هيرودوت وتيوسيديدس – أسماء لمؤرخين يونان عُنيو بكتابة التاريخ اليوناني حيث مثل **هيلانيكوس الميتيليني** والذي عاش ما بين (479 ق.م– 395 ق.م)، نموذجا مهما في ميدان الكتابة التاريخية أين جمع مادته التاريخية ونقدها وصنفها ثم قدمها في لوحة إخبارية زمنية، هذا بالإضافة إلى مؤرخين آخرين من أمثال: **بركليس (495 ق.م– 429 ق.م) وأيزوكراتيس الأثيني (436– 338 ق.م)، وإيفورس**

---

[1]– قاسم يزبك، مرجع سابق، ص 08.

[2]– المرجع نفسه، ص 09.

[3]– سعد بدير الحلواني، مرجع سابق، ص 50.

الكيمي، وتيوبميوس الخيوسي، وأكسينوفون وكراتيروس الأصغر وفيلوخورس الإثيني وهونيموس الكردي، والمؤرخ يوليبيوس[1].

1-2- الكتابة التاريخية والتدوين التاريخي عند الرومان:

هيّأ مجيئ الإغريق لظهور الرومان على مسرح التاريخ واتصالهم بحضارة شرق البحر الأبيض المتوسط، وقد أعطى وجود المدن الإغريقية في روما دفعة قوية للتطور الثقافي عن طريق اتصالهم بالأتروسكيين، وكان **ديونيسيوس الأول** مثله مثل سلفه **هيرون الأول** من محبي الثقافة اليونانية، فقد لقيت نظم الإغريق السياسية والعسكرية المتقدمة والفن والأدب والميثولوجيا الإغريقية رواجا وانتشارا سريعا بين الشعوب الرومانية، وكانت عاملا عميق الأثر من عوامل تقدمهم السياسي والفكري[2].

وانطلاقا من الاعتقاد الروماني وثقتهم بسموهم على بقية شعوب العالم وبأن تاريخيهم هو الوحيد الذي يجب أن يدوَّن، نال تاريخ روما اهتماما كبيرا من قبل مؤرخيهم، ويعد يوليوس قيصر (100- 44 ق.م) أول كاتب روماني شهير كتب عن الحروب الأهلية مع بومبي، كما كتب كتاب من سبعة أجزاء عنونه بـ "**ملاحظات**"، وارتقى المؤرخ **سالست** (86- 39 ق.م) بالتأليف التاريخي إلى مستوى الطريقة العلمية، وكتب **ليفيي Liyey** (59- 17 ق.م) عن مدينته كتابا ضخما يتألف من 142 جزءا، لم يصلنا منه سوى 35 جزءا الهدف منه تسجيل الأعمال والإنجازات التي قام بها الشعب الروماني[3].

بقي تاريخ روما يكتب باليونانية بواسطة الإغريق متأثرا بالأسلوب الأدبي الإغريقي، فاهتم مؤرخو الرومان بجمالية الأسلوب والعبارة دون إيلاء الحقائق التاريخية عناية كافية مما أدى ببعضها أن حفلت بالأخطاء الناجمة عن تشويه الحقائق[4].

بدأ التاريخ في العهد الروماني واضحا بين (الإخباريين) الذين يسردون الأحداث بتاريخها الزمني سردا نظرا لمحدودية معرفتهم ويعتمدون في عملهم على وثائق فارغة المحتوى وبدائية، وبين المؤرخون الحقيقيين الذين أخذوا يظهرون بدورهم اهتماما بالبلاغة الأدبية أكثر

---

[1]- للاستزادة في هذا الموضوع انظر، نجاة سليم محاسيس، مرجع سابق.

[2]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، ط01، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2011، ص ص 56- 57.

[3]- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص ص 75- 76.

[4]- ميمونة ميرغني حمزة، مرجع سابق، ص 27.

مما يظهرونه في بناء المعرفة التاريخية الموثقة والدقيقة، فانتصرت بذلك تقنية التأليف الإغريقية منذ عهد المربي الكبير "**إيزوقراط 393- 338 ق.م**"[1].

يعتبر المؤرخ **بكتور** من أقدم مؤرخي الرومان، فكتب حولياته عن روما باللغة اليونانية وقد حذا حذوه المؤرخين الذين جاءوا بعده مباشرة، ما عدان **كاتو Cato** (234- 149 ق.م) الذي وضع تاريخا باللغة اللاتينية في سبعة كتب، وتلاه العديد من المؤرخين الذين تناولوا تاريخ روما المبكر حتى ظهر أساطير المؤرخين الرومان في القرن الأول قبل الميلاد[2].

تأثر الرومان بالفكر الديني المسيحي الذي أنهى سيادة الآلهة الأسطورية، فكانت بجد مرحلة هامه في التاريخ الروماني أحدثت نقلة في العمل التاريخي في روما وسائر أوروبا، فأثبت ذلك التأثر البعد الإنساني العالمي في التاريخ، وسرعان ما أثمرت نتائجه منذ ظهور أهم أعمال اعلام التجديد في الظل التاريخي الأوروبي القديس " **أوغسطين، أو أوغسطينوس 430م**" الذي صور التاريخ على أنه مأساة تجري ضمن قوانين العناية الإلهية[3].

1-3- تطور التاريخ في العصور الوسطى الأوروبية.

يمكن تحديد بداية العصر الوسيط الأوروبي منذ مرحلة ضعف الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي ويمكن أن يطلق على هذا العصر بعصر المسيحية، وينقسم إلى قسمين:

أ- الغربي ثم الجرماني.

ب- الشرقي الإغريقي أو البيزنطي.

انتقلت الكتابة في هذا العصر من الحوليات الكنسية (التاريخ الكنسي) إلى نوع من التاريخ والتراجم، وانتشرت السير الذاتية بين الكتاب الذين تناولوا المعرفة التاريخية بأكثر تفصيل من الحوليات، وكانوا ينقلون عن المراجع السابقة دون إشارة إلى أصحابها، ثم تستمر حتى عصر المؤلف مثل الحوليات[4].

---

[1]- ليلى الصباغ، مرجع سابق، ص 19.

[2]- محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 53.

[3]- صائب عبد الحميد، مرجع سابق، ص 24.

[4]- نجاة سليم محاسيس، مرجع سابق، ص ص 127- 130.

مثلت سنة 476 م البداية الحقيقية للكتابة التاريخية منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد القبائل الجرمانية والتي تميزت بانحطاط سياسي وحضاري وتوسع الديانة المسيحية في أوروبا بعد القضاء على الوثنية الرومانية أين تحول تدوين التاريخ في أوروبا في تلك المرحلة إلى أيدي القساوسة والرهبان خاضعا للاّهوت، فاقدا بذلك كل صفاته العلمية التي كان يتمتع بها في عصر الإغريق والرومان، مشحونا بأخبار لا علاقة لها بالدين كتب عنها المؤرخ هرنشو في قوله: "إن تحول التاريخ إلى رجال الدين كان معناه محو التاريخ الصحيح من الوجود محوا دام ألف عام"[1].

كانت الحوليات مجرد تقييدات للحوادث المعاصرة يعلق بها على التقاويم المؤقتة لعيد الفصح، وكثير تلك الحوادث الواردة في الحوليات خاصة في المراحل الأولى من العصر الوسيط من أتفه ما يكون فمضمونها لا يخرج عن دائرة الكلام عن الزلازل والخوارق وتداول المخلفات المقدسة، ونتاج خنازير سداسية القوائم وما شابه ذلك من تلك التفاصيل[2].

شكل اعتناق المسيحية (كاثوليكية كانت أم أريوكسية) منعطفا هاما في تاريخ الشعب الجرماني، إذ أثر على طريقة حياة الأفراد وعلى مؤسساتهم وعلاقاتهم بجيرانهم، فأدمج كل من **جوردان وجريجوري الثوري، وبولس الشماس** التاريخ الديني في كتاباتهم معتبرينه جزءا أساسيا في نسيج رواياتهم، أما **بيديه** فقد بذل محاولة للفصل بين النوعين، مركزا اهتمامه على الكنيسة ودون كتابا عنونه بـ "**التاريخ الكنسي للشعب الإنجليزي**" وقد جاء التاريخ العلماني في سياق هذا الكتاب[3].

وخلال القرنين السادس والسابع الميلادي ساءت ظروف الدراسة أيا كان نوعها، وانحصر التعليم في الكاتدرائيات والأديرة، ووصلت تجارة الكتب إلى مرحلة الجمود، واستمر التبادل الثقافي قائما بين مراكز التعليم الرئيسية في شتى أنحاء العالم المسيحي وظهرت أنماط جديدة من التدوين التاريخي تلبية للاحتياجات الجديدة، فكانت الحوليات أكثر أشكالها في العصور الوسطى البدائية[4].

---

[1]– عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 100.

[2]– هرنشو، مصدر سابق، ص 44.

[3]– بيريل سمالى، المؤرخون في العصور الوسطى، ط02، تر: قاسم عبد قاسم، دار المعارف، مصر، (د.ت.ن)، ص 57.

[4]– بيريل سمالى، المرجع السابق، ص 60.

ذاع صيت "**كتاب البابوات**" لدرجة عكوف العلماء على قراءته والنهل منه كلما اقتضت ظروفهم أن يذهبوا إلى البلاط البابوي ، ونسخت منه عدة أقسام وانتشرت في أنحاء أوروبا، وقد أثبت جدارته للقراء كنموذج صيغت على نهجه أعمال الأساقفة ومقدمي الأديرة[1].

تحمس عدد من الرهبان لتدريس التاريخ في العصور الوسطى ودرسوه بحماس في عدة رهبانيات، ولكن ورغم هذا فقد سيطرت فيما بعد المدرسة اللاتينية النحوية التي نشأت في أوروبا في المرحلة الأخيرة من العصر الوسيط على التعليم الثانوي حتى القرن التاسع عشر، بما عرف عنها من إخلاص للغات الكلاسيكية وأهملت التاريخ في مناهجها الدراسية[2].

لقد كان لتقدم الحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط تأثيرا واضحا على الغرب، فقد ظهر في فرنسا في أواخر تلك المرحلة سنة **1049** "**تاريخ نانت**"، وفي ألمانيا ظهر "**التاريخ الأنجلو سكسوني**" سنة **1154 م** و"**تأريخ أوتو الفريزنجي**" سنة **1158**، وفي إنجلترا ظهر سنة **1255 م**"**التاريخ الأكبر**" **لماتيوباريس**، فاتجه بذلك الكتاب في القرنين الرابع عشر والخامس عشر يعدّلون عن الشكل الحولي لإنتاجهم الفكري[3].

اختص المؤرخون الغرب في هذه المرحلة في ذكر المعجزات والكرامات متوخين بذلك أسلوب القصة المنسوقة، ودليل ذلك ما كتبه **فرواسار** "**تأريخ**" سنة 1410 م وهي قصة شهيرة وممتعة و"**مذكرات**" لفيليب ده كومين سنة **1509 م**، وهي قصة لا تقل جاذبية عن سابقتها[4].

4- التدوين التاريخي عن الغرب في العصر الحديث:

ظهرت في أوروبا خلال هذا العصر اتجاهات عديدة لتفسير التاريخ منها اتجاه مثالي قاده هيجل، ومادي برز فيه كارل ماركس، ونفسي من أبرز علمائه فرويد ويونج، وبيولوجي تبناه شبنجلر وحضاري برز فيه اسم أرلوند توينبي[5]، وقد كتب الكثير من علماء الاجتماع في التاريخ من أمثال فولتير ومونتسكيو وكونت وسبنسر وماركس نفسه، على اعتبارات أن الفرد جزء من حقيقة كبرى هي المجتمع، كما ظهرت مدرسة سميت بمرسة التاريخ الشامل ومن أعلامها ميتلاند وفينوغرادوف وماكلوين وهنري بيرين، ويحسب لها الاعتماد على سائر

---

[1]- بيريل سمالى، مرجع سابق، ص 62.

[2]- عبد الكريم رافق، تطور تدريس التاريخ، رسالة جامعية، الجامعة السورية، سوريا، 1955/ 1956، ص 11.

[3]- هرنشو، مرجع سابق، ص 46.

[4]- المرجع نفسه، ص 47.

[5]- للاستزادة أنظر، أنور محمود زناتي، مرجع سابق.

المناهج المتاحة بما فيها المنهج المادي التاريخي على أساس أن كل منهج يكشف عن جانب مهم من الحقيقة التاريخية الملغزة[1].

يذهب المؤرخ هاري المر بارنز إلى القول بأن هناك علاقة بين القومية الأوروبية والكتابة التاريخية ففي ألمانيا ظهرت الكتابة التاريخية القومية على عهد المدرسة الإنسانية وعهد الإمبراطورية القديمة وفي فرنسا بدأ الفرنسيون يتجهون نحو تحليل وجمع مصادر تاريخهم القومي بعد حوالي قرن من نشأة الكتابة التاريخية القومية في ألمانيا في بلاط الإمبراطور ماكسيليان، أما البداية الحقيقية للجمع الناقد لمصادر التاريخ الفرنسي فقد ظهرت في أعمال وانتاجات أندريه دوشزن (1548- 1640 م)[2].

أما مصادر التاريخ النمساوي فقد جمعت لأول مرة بواسطة جيروم بيز (1685- 1762 م) في كتابه **(ملوك اوستريا)**، كما حظيت إيطاليا بشرف مزدوج في مجال كتابة التاريخ القومي فهي أول أمة تمكنت من تجميع مصادر تاريخها ويرجع الفضل في ذلك إلى " **لود فيكو أنطونيو موراتوري**"، في حين عجز الإسبان عن تجميع مصادر تاريخهم بأنفسهم ذلك أن العالم الرحالة الإنجليزي **روبيرت بيل** المتوفي سنة 1601 م هو من تمكن من جمعه وأصدر كتاب المخطوطات الإسبانية وذلك بين سنتي 1579- 1581 م[3].

على عكس عصر النهضة والذي حمل تعبيرا واضحا في الكتابة التاريخية التي طالت الآداب القديمة وانبعاث روح النقد وبروز مؤرخين من أمثال **نيكولوميكا فلي (1469- 1527 م)** الذي وضع كتاب الأمير وتاريخ فلورنسا و**بوليدور فرجيل (1470- 1555 م)** الذي أقام في إنجلترا وألف كتاب "تاريخ إنجلترا في عهد هنري السابع"، أدت الكشوفات الجغرافية إلى ظهور الرأسمالية، وتدهور الاقطاع في الجانب الاقتصادي[4].

أما سياسيا فقد أثر ذلك على حركة الاستعمار واهتمام الدول بمكانتها والبحث عن تطورها، فكثرت بذلك الصراعات والنزاعات فتدخل البحث التاريخي وحسم أهمها، ومن ذلك ما حصل في إنجلترا من صراع بين ملوك ستيورت والبرلمان في أول القرن السابع عشر[5].

---

[1]- أنور محمود زناتي، مرجع سابق، ص ص 103- 104.

[2]- هاري ألمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج2، تر: محمد عبد الرحمان الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1987، ص ص 10- 12.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 23- 25.

[4]- ميمونة ميرغني حمزة، مرجع سابق، ص ص 47- 48.

[5]- المرجع نفسه، ص ص 49- 51.

إلى حدود القرن السابع عشر بقيت سير الفرسان وأبطال الملوك تحتل الجزء الأكبر من اهتمامات الكتاب والمؤرخين، لكن بشكل أقل حدة مقارنة بالفترة السابقة، وفي مرحلة القرن الثامن عشر حرر **مونتسكيو** التاريخ من التصورات الميتافيزيقية مستبعدا بذلك دورِ الصدفة والحظ، مدافعا خلالها على وجود عوامل وقوانين تؤثر في تواريخ الأمم كالمناخ والموقع الجغرافي والمذهب الديني، ليأتي القرن التاسع عشر والذي اعتبر قرن التاريخ أين تحرر من الفلسفة واللاهوت وبدأ التاريخ يستقل على المستوى الأكاديمي ليبني بذلك لنفسه مكانة متميزة في حقل العلوم الإنسانية بأقسامه المتعددة في المعاهد والجامعات وبمجالاته المتخصصة[1].

كتب مؤرخوا القرن العشرين متأثرين بنظرية فرويد وإنشتاين وكارل ماركس، كما صرفوا النظر إلى حد كبير عن الموضوعية التاريخية، وابتكروا ما يعرف بالنسبية التاريخية Historical Relativism، فيما اتجه نوع آخر من المؤرخين إلى صرف النظر عن النظريات والتيارات بما فيها نظرية الاستمرار في التاريخ، والتفرغ إلى الحروب والنزاعات وحركة الانقلابات التي تحدث في العالم[2].

بدأت حركة التأليف والبحث التاريخي منذ الحرب العالمية الأولى إلى أسمى درجات الموضوعية وعدم التميز، فاستهدف الباحثون التحري عن الحقيقة بدلا من التعبير عن مشاعرهم الوطنية، اخذين في الاعتبار وجود بعض الكتابات التي طغت عليها الصبغة الوطنية مما أدى إلى تراجعها إلى الوراء ذلك أن المؤرخ الذي سمح لمشاعره الوطنية أن تطغى على أحكامه كان موضوع نقد على عكس من كتب بموضوعية فكان في موضع احترام وتبجيل[3].

وضعت الحرب العالمية الأولى كتابة التاريخ في حالة من الارتباك والهلع، وظهرت تيارات وأفكار وصفت الموقف الكئيب الذي وصل إليه العالم وما يواجهه من أحداث، ومن بين هؤلاء المؤرخين أرلوند توينبي[4].

---

[1]– خالد طحطح، مرجع سابق، ص ص 71– 78.

[2]– حسن مؤنس، مرجع سابق، ص 62.

[3]– هاري إلمر بارنز، مرجع سابق، ص 98.

[4]– ولد أرلوند جوزيف توينبي سنة 1889 في لندن، من أسرة مسيحية تنتمي إلى الطبقة الوسطى المثقفة، كان والده موظفا في إحدى الشركات وكانت أمه قد حصلت على شهادة بكالوريوس في التاريخ من جامعة كمبريدج، وألفت كتابا مدرسيا في التاريخ، وقد تحدث توينبي عن فضل أمه التي جعلت منه مؤرخا عندما أذكت في نفسه حب التاريخ، فدرس في مدرسة داخلية في (وتون كورت) ثلاثة سنوات، ثم التحق بكلية مانشستر وأمضى بها 05 سنوات (1902– 1907) وفاز في=

هذا الأخير الذي دون في كتابه الصادر سنة 1939 وفي الجزء السادس مختتما إياه بهذه الكلمات المروعة فيقول: "... يجب حتما أن نصلي، لأن المهنة التي أنعم الله بها على مجتمعنا مرّة، لن يمن علينا بها إذا نحن طلبناها مرة أخرى بروح خاشعة وقلب نادم"[1]

1-5 المؤرخ الانجليزي أرلوند توينبي.

بحسب "**أوغسطين**" "فالإنسان جاء من الله وبنعمته وسوف يعود إليه"[2]، كما أن التاريخ عند توينبي هو إنجاز للخطة الإلهية وهو إبداع الله في حركته من الله منبعه وإلى الله غايته"، ومن هذا المنظور فقد نظر توينبي إلى تاريخ المدنيات لا في حدود مصائبها فقط، ولكن في حدود دورها في الدين، كما لجأ إلى علم النفس لتفسير حركة التاريخ عبر نظرية "التحدي والاستجابة" التي تدرس على ضوئها جميع الحضارات الإنسانية ومنها الحضارة الإسلامية[3].

ارتكزت شهرة توينبي على كتابه القيم والضخم "**دراسة التاريخ**" والذي كتبه في عشر مجلدات، ثم ألحقها بعدد من الكتب والمقالات، فأهم كتبه التي تناول فيها القضايا العامة هي: "الحضارة في الميزان، العالم والغرب، البقاء في المستقبل"، ففي الحضارة في الميزان ناقش الآثار المتأتية من استخدام شعب ما للتكنولوجيا الغربية، ومدى تعرضه للخطر، كما تكلم في كتابه "البقاء في المستقبل" إلى طرق الخلاص الذي يراه في خضوع جميع دول العالم لحكومة واحدة لديها قوة ايقاف الحروب وكبح جماحها، وتوزيع خيرات البلدان القوية على البلدان الفقيرة، كما في كتابه "دراسة التاريخ" إلى أن ابن خلدون وفلسفته في التاريخ هي ابدع وأعظم عمل قدم في أي زمان ومكان[4].

=نهاية الدراسة بمنحة لمواصلة دراسته في جامعة اكسفورد حين درس التاريخ القديم (اليونان، الرومان)، وعين في الجامعة معيدا بعد تخرجه، وأرسلته بعدها للدراسة في المدرسة البريطانية سنة، ثم رجع إليها. للاستزادة أنظر، هاشم يحي الملاح، المفضل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمة، لبنان، 1971، ص384.

[1]- آرثر هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، تر: طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، نيويورك، و، م، أ 1997، ص343.

[2]- علي عبود وآخرون ، فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم، ط1، دار الروافد الثقافية، ناشرون، لبنان، 2012، ص 95.

[3]- هناء غانم، فلسفة الحضارة، مطبعة ابن خلدون، سوريا، 1982، ص 110.

[4]- نيفين جمعة علن الدين، فلسفة التاريخ عند أرلوند توينبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991، ص ص 21- 22.

تأثر توينبي بأوغسطين وابن خلدون كما بحث كثيرا في تكوين الحضارات ونموها وكيف تدهورت ووقفت عن النمو، فذكر مثلا المجتمع الهيليني في قوله: "إذا كان المجتمع الهيليني قد تدهور بإخفاقه أن يتسامى بمرور الزمن على "محليته" أو إقليميته المأثورة، فإن مجتمعنا الغربي قد أخفق ولاتزال نتائج هذا الإخفاق مخبوءة في المستقبل – في المحافظة على التضامن أو التماسك الاجتماعي، مما كان على ما يرجّح أثمن جزء في مجتمعنا الأصلي"[1].

يقول توينبي في فلسفته للتاريخ أن المرحلة الأولى لأي حضارة هي مرحلة النمو، وهو الذي ينشأ من التحدي الذي تفرضه البيئة، ويلاقي هذا التحدي استجابة لدى اقلية مبدعة تتزعم مسيرة الغالبية قد تكون سلبية، ولكن اخلاصها وولائها للأقلية المبدعة وقبولها ما تفعل بصفة عامة يمنح الاستجابة قدرة على مواجهة التحدي[2].

قسم توينبي المجتمعات إلى قسمين البدائية والحضارية وهو نفس ما ذهب إليه ابن خلدون تقريبا، حيث اعتقد أن أصلها إنما يرجع إلى المجتمعات البدائية، وبناء عليه فقد انبعثت من المجتمعات البدائية ستة مجتمعات وهي: المصرية والسومرية والمينوية والمايانية والإنديانية والصينية، ومنه فقد اتفق كل من ابن خلدون وتوينبي حول فكرة نشأة المجتمعات، لكنهما مختلفان في آلية انتقالها[3].

إن أهم مميزات نظرية توينبي أنه قيم الحضارات بموضوعية كما إنه انتقد التقسيم الثلاثي للتاريخ (قديم، وسيط، حديث)، من قبل مؤرخي الغرب مذكرا بأنانية بعضهم والذين اعتبروا الجنس النوردي ذو البشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الزرقاء أرقى الأجناس، ثم أنه أنصف العرب والحضارة العربية ومشكلة فلسطين وقال أن الحضارة اليهودية متحجرة وأن تطورهم كان بسبب تحدي الشتات وليس بالرغم من الشتات، ومن ثم اعتبر اجتماعهم في دولة واحدة يعني زوال عامل التحدي عندهم وانتقاله إلى العرب[4].

رفض توينبي الحتمية التشاؤمية اللازمة عن نظرية التعاقب الدوري للحضارات لدى شتبنغلر لأن التاريخ ليس عجلة يمكنها أن تدور برتابة، كما انتقد القول "بوحدة الحضارة"

---

[1]– للاستزادة أنظر، أرلوند توينبي، بحث في التاريخ، مج 01، تر: باقر، الفرات للنشر والتوزيع، لبنان، 2014.

[2]– أرلوند توينبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، تر: رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 2003، ص 08.

[3]– للاستزادة أنظر، زياد عبد الكريم النجم، توينبي ونظريته التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية نموذجا)، (د.م.ن)، (د.ب.ن)، (د.ت.ن).

[4]– عارف أحمد اسماعيل المخلافي، مرجع سابق، ص 46.

معتبرا أن قصد المؤرخين الغرب من ذلك هو القول أن الحضارة النموذجية هي الحضارة الغربية وحسب، وما دونها فلا قيمة له[1].

2- علم التاريخ عند العرب من الطبري إلى ابن خلدون.

2-1 الكتابة التاريخية العربية قبل الإسلام:

احترم المؤرخون العرب ما وصل إليهم من تراث ما قبل الميلاد واعتبروه مصدرا تم الاعتماد عليه في التدوين عن الأمم القديمة، فما وصل إلى علمهم في الماضي عن **إبراهيم ويوسف وموسى** جاءهم عن طريق القصص الإسرائيلي، وما دون في مصر عن الفتح الإسكندري والاستعمار البيزنطي جاء عن طريق المؤرخين اليونانيين والبيزنطيين، أما ما وصل إلى المؤرخين العرب في العصر الحاضر عن العماليق والمعينين فقد جاءتهم به الآثار المكتشفة في وادي النيل.

توصل المؤرخون العرب إلى نصوص غير التي اكتشفها الأثريون وتحدث عنها المستشرقون، واعتمدوا عليها فيما كتبوه عن الآراميين في العراق (النبط والسريان)، وفي ما قالوه عن بابل عاصمة الكلدانيين، وعن **نينوى** عاصمة الأشوريين وعن طبقات دول الفرس والاسر الحاكمة[2].

باستثناء بعض النقوش القليلة الموجودة على الآثار الباقية في اليمن وشمال شبه الجزيرة العربية يذهب الباحثون إلى أن العرب عرفوا نوعا من التاريخ الشفهي على شكل قصص، فكان الرواة يروون أخبار القبائل وكل ما تعلق بيومياتها من معارك وغزوات وغيرها من الامور اليومية، كما أن كل قبيلة كانت تحفظ أنسابها النقية ذات الامتداد والبطون للتفاخر والتباهي عن بقية القبائل الأخرى[3].

عاشت في الجزيرة العربية قبل مجيئ الإسلام أقوام ومجتمعات متفرقة وأخرى مستقرة، ففي جنوب الجزيرة تشير المصادر من كتابات ونقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال الفترة ما بين **1200ق.م** و**527 م**، وقد سارت في تطورها في اتجاهات متماثلة مخلفة كتابات تتراوح تواريخها ما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي، مسجلة بذلك فعاليات مختلفة من أعمال للبر والتقوى وإلى تقديم الجزية ومشاريع الري والتحصينات العسكرية

---

[1]- عارف أحمد اسماعيل المخلافي، مرجع سابق، ص 47.

[2]- أمين مدني، التاريخ العربي ومصادره، دار القوافل للنشر والتوزيع، السعودية، 2008، ص 12.

[3]- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 78.

وغيرها، فامتزج بعضها بطابع ديني، في حين سجلت أخرى في شكل فعاليات بشرية وإنجازات هامة، فالهمداني أشار إلى وثائق ملكية وسجلات حميرية تم الاستفادة منها كما أشار إلى زبر **(وثائق وسجلات أنساب)** حفظتها بعض العوائل والبطون[1].

ابتكرت عند العرب أشعار للتنويه بمآثر وإنجازات القبيلة، وصبغت بعض القصص التاريخية بالخرافات والأساطير لدى القبائل، فكانت كل قبيلة تعنى بما تعتبره تاريخها من أجل أن يروى ويترك للأجيال القادمة، كما عرفوا بعض أخبار من جاورهم من الأمم كالفرس والرومان[2]، فكانت هذه الطريقة هو الحصيلة الأولى التي اتبعها البدو، ونقلوها من جيل إلى جيل عبر الروايات الشفوية معتمدين عليها في كتابة وتدوين التاريخ هذا بالإضافة إلى النقوش وبالحرف المسند المكتوب على جدران قصورهم ومعابدهم أين رووا أحوالهم التي تعرف عليها الباحثون والمؤرخون المعاصرون ومن خلالها على الكثر من تاريخ العرب وبلاد اليمن على وجه الخصوص في الفترة الممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي[3].

اختلطت الحقائق بالأساطير في كتابات العرب القدامى إلى درجة أنه يصعب التمييز بين صدقها وزورها، وكان أكثر تلك الأخبار يدور حول ما يسمى أيام العرب نسبة إلى أن العرب كانوا يتحاربون نهارا، فإذا أتى عليهم الليل أوقفوا القتال ليواصلوه في صبيحة اليوم الموالي، وكان من أهم تلك المعارك التي وقعت بين القبائل العربية حرب البسوس، وداحس والغبراء، وذي قار وغيرها، وكانت أهم ميزة ميزت أيام العرب هو استشهادها بالشعر الذي يعتبر سندا للأخبار المروية، ولكن يؤخذ عليها أنها معلومات خالية من الصفة التاريخية وتفتقر إلى الربط والحبكة التاريخية ولا تخلوا من التعصب والتحيز لبعض القبائل[4].

كان للقصص في الجاهلية أغراض شتى، وقليل منه كان له غرض تاريخي تعرض للتشويه مع مرور الزمن، فلم يكن معروفا بأي مفهوم من مفاهيمه المختلفة، سوى روايات أحداث الماضي المتناقلة مشافهة وخير دليل على ذلك عدم بروز أسماء ومؤرخين معروفين نظرا لأنه لم يكن محدد المعالم والشخصية بشكل واضح عند العرب، فهو بالتالي جزءا من

---

[1]– عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص ص 15، 16.

[2]– حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ملتزمة للنشر والطبع، مصر، (د.ت.ن)، ص 07.

[3]– ليلى الصباغ، مرجع سابق، ص 26.

[4]– محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 42.

معارف أخرى كالفلسفة والأدب أو الدين أو الفنون، فهو قبل مجيئ الإسلام كان على النحو التالي:

1- لم يكن معروفا بخصوصيته ومفاهيمه المعروفة نتيجة انتشار الجهل والأمية.

2- غلب عليه الطابع الشفهي، واعتمد على الإخباريين والقصاصين والنسابة.

3- كان الشعر والشعراء من أسس نقل الروايات والأحداث التاريخية.

4- تركت بعض الحضارات العربية بعض الكتابات والنقوش على شكل حوليات، لكنها محدودة المعلومات وتقتصر على أخبار الحكام والقادة والمعارك والحوادث الكبرى.

5- غياب المؤرخين في مجال التاريخ عند العرب عكس بقية الحضارات الأخرى كالرومان والإغريق[1].

تحدث التاريخ العربي في قلب الجزيرة العربية عن قوم **عاد وثمود وجرهم وعبيل وطسم وجديس** وغيرهم من الأمم المعروفة باسم العرب البائدة، وإذا ما انتقلنا إلى جنوب الجزيرة، نجد في أخبار عبيد بن شرية والتيجان لوهب بن منبه ملامح تمثل نصوص منسوبة إليهما خاضعة للتحزب العنصري وكل ما دون عنها غامض ومشوش بالنسبة للدول العربية في تلك العصور البعيدة، وكله يحتاج إلى تدقيق على ضوء ما وصلت إليه الأبحاث التاريخية[2].

بدأ التاريخ العربي من عهد إبراهيم -رافع قواعد البيت- بداية الألف الثانية قبل الميلاد، وقد حظيت الأمم التي سكنت بجوار البيت مع اسماعيل وبعده، وكذلك ساكنة المدينة بعناية المؤرخين الذين وجدوا نصوصا تاريخية أتاحت لهم معرفة من سكن مكة والمدينة، ومن فجر تاريخ هاتين المدينتين المقدستين إلى عصر قريش في مكة والأوس والخزرج في المدينة، كما توارثت الأجيال أرض الجزيرة: نجدها ويمنها وعراقها وشامها، وسطرت عليها تاريخ نحن في أمس الحاجة إليه[3].

لم تحل مسألة تدوين التاريخ العربي حلا نهائيا نظرا لتواتر الأساطير الشعبية المنقولة عن العصر الجاهلي، لكن ورغم ذلك فقد قامت حضارة عربية استقرت دعائمها في اليمن عهدا طويلا وتركت لنا آثارا حفظت بالنقوش المعينية والسبئية والحميرية، وكل ما وصل إلينا

---

[1]- حميدة مجول النعيمي وآخرون، إضاءات مشرقة في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، وقائع المؤتمر الدولي الثالث في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، مج 01 – 05- 07 ديسمبر، مؤسسة الشارقة الدولية، الإمارات العربية المتحدة، 2017، ص 10.

[2]- أمين مدني، مرجع سابق، ص 17.

[3]- المرجع نفسه، ص 18.

من أخبار حملت طابع التاريخ المنقول بالسماع لأسماء ملوك قدماء وقصص غامضة ومبالغ فيها إلى درجة يصعب تصديقها، وكانت غير دقيقة وقعت في القرن السابق لظهور الإسلام[1].

2-2 نشأة وتطور التاريخ عند العرب المسلمين:

شغفت الأمة العربية بالتاريخ وتوارثته الأجيال والأمم السابقة جيل عن جيل أين بدأ الشغف به ساذجا ومهملا قبل الإسلام وتطور وتدرج بعد مجيئ الإسلام، وهذا ما أكد عليه جموع الباحثين حيث ذكروا بأن معظم المؤلفات العربية وغيرها تكلمت عن هذا الأمر.

انتشرت الأمية في العصر الجاهلي بشكل كثيف وواسع، ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد كان العرب يتذكرون بمآثر القبائل والملاحم الدائرة بينهم معتمدين في ذلك على الذاكرة في حفظ تراثهم، وكانوا يستهينون بمن لا يستطيع الحفظ، وكلها قريبة إلى القصص منها إلى التأليف نظرا للعديد من الاعتبارات أهمها بروز جانب العصبية القبلية والبقاء للأقوى، ولكن ذلك لا يقلل من أهمية تلك الروايات الفنية التي استمرت حتى بعد الإسلام.

جاءت الرسالة المحمدية بالعديد من التغييرات حول من خلاله القرآن الكريم المنزل من المولى سبحانه وتعالى على أشرف خير الخلق العرب إلى أمة واحدة، بدين وأسس للحياة وعقيدة صحيحة حل خلالها الولاء للعقيدة محل الولاء للقبيلة، وبدأ منذ ذلك الحين العرب المسلمون بناء دولتهم وحضارتهم التي لا تقارن بأية حضارة أخرى في العالم[2].

كان لظهور الإسلام أثرا بالغا ودينيا في حياة الناس بعد أن أصبح القرآن والأحاديث النبوية دستور المسلمين، فكان لشخصية الرسول (ص) أثر كبير في نفوس العرب يأمر بالعدل وينهى عن المنكر ويؤم الناس في الصلاة، وبذلك قامت خلافة الخلفاء الراشدين، واتسعت الدولة العربية في عهد عمر ابن الخطاب بعد ضم كلا من فارس والشام وفلسطين ومصر، وكان كل خليفة فيهم يحكم وفق الحدود الشرعية من أجل تقوية وتثبيت دعائم وأركان الدولة الإسلامية في ذلك العصر[3].

---

[1]- كب، علم التاريخ، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1981، ص 47.

[2]- للاستزادة أنظر، بتار ولد العربي ولد معط الله، نشأة التاريخ عند العرب المسلمين، كلية الآداب والعلوم أوباري، جامعة سبها، ليبيا.

[3]- علي إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط، ط02، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1963، ص 13.

ظهر الإسلام في النصف الأول من القرن السابع الميلادي وجمع أشتات القبائل العربية المتناثرة والمتفرقة في شبه الجزيرة العربية وقد أنار العقول في كل ناحية حل بها، واستنهض العزائم واستجاش الهمم وقدر الأعمال والإنجازات العظيمة والأعمال الجليلة والمواقف الرائعة التي استوجبت الإعجاب والتقدير والرغبة في تخليدها، فمهد ذلك الطريق لظهور رجال انقطعوا لجمع الأخبار واستقصاء الأحداث ومنهم الرواة والإخباريون والقاصون والمؤرخون والشعراء، فلما كانت الأمية غالبة على العرب في جاهليتهم بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم النهضة بعد الإسلام، فكان محركها الأول وملهم الجميع، وبالتالي أصبح من المعقول أن تكون سيرته كأول موضوع للتاريخ الإسلامي، وأن يتبع ذلك في الأهمية تاريخ صحابته من الأوفياء الذين حاربوا تحت لوائه واستشهدوا في سبيل نشر الإسلام وأعلاء رايته، وأبلوا بلاءا حسنا في توظيفه وأزالوا العقبات في طريق نشرها وأعلامها وإذاعتها وتغليبها[1].

تذكر الكتابات الأجنبية أن العرب قبل الإسلام لم يكن تخلفهم عن كتابة التاريخ بسبب الأمية والجهل فقط بل الأسباب تتصل اتصالا مباشرا ببيئتهم الاجتماعية وتكوينهم العقلي، فكتبوا الروايات والقصص العربية مشافهة وعلى أساسها قامت في العصر الإسلامي قصص تاريخية عديدة كتبت بأسلوب نثري يتخلله الشعر من حين إلى آخر، كما صيغت الأساطير التاريخية في قالب شعري ذو قيمة أدبية رفيعة مبنية على حقائق التاريخ تدور في أول أمرها حول مغازي الرسول (ص)، ثم جاءت موضوعات أصبحت مصادر إلهام فيما بعد، كالحروب البيزنطية وهجرة الهلاليين إلى المغرب وغيرها[2].

مما لاشك فيه أن أول المنابع الأصلية للتاريخ الإسلامي هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد (ص)، ثم يلي ذلك في الأهمية السنة النبوية الشريفة، ففيها آداب ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وسيرة خير خلق الله عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم، وبيان لأحوال الناس والمجتمع الذي كان يعيش فيه وأصحابه، وتصوير صادق لما مر بهم من محن من أجل نشر الدعوة، وكذلك الآمال والآلام والأحداث والغزوات الكبار للرسول وصحابته، فكل ما جرى من أحداث للبشر على مر التاريخ من خلف الإنسان إلى يوم القيامة هو قدر

---

[1]– علي أدهم، من التاريخ 03 (بعض مؤرخي الإسلام)، مكتبة نهضة، مصر، 2003، ص ص 20– 24.

[2]– جان سوقاجيه، كلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، تر: عبد الستار حلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للقافة، (د.ب.ن)، 1998، ص 54.

مقدور وخطة أرادها الله سبحانه وتعالى لمن خلق، وخير دليل على ذلك ما ذكر في القرآن الكريم من سور وآيات عديدة:[1]

(والله خلقكم وما تعلمون)[2].

(بل لله الأمر جميعا)[3].

(وإليه يرجع الأمر كله)[4].

(يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه)[5].

يعتبر القرآن المصدر الأول لدراسة "علم التاريخ"، عند العرب، ثم يليه الحديث الشريف، وعلى هذا الأساس قام التاريخ على دراسة السيرة النبوية وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها، متخذا من مكة والمدينة منشأ لهذه الحركة التاريخية، ومن فكرة "خير خلف لخير سلف" اعتمد المؤرخون الأوائل على الروايات الشفوية، فاستمد كل جيل أخباره من الجيل الذي سبقه، فكان الخبر التاريخي يستمد من السماع عن الحفاظ الموثوق بهم أو ما يعرف **بالأسانيد** وهي وسيلة للإجماع على صحة الخبر، وهي نفس الطريقة التي اتبعها المحدثون في رواياتهم للحديث، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه يسلك نفس الطريق التي سلكها الحديث، فكان الخبر التاريخي يتألف من عنصرين، رواة الخبر على التتابع ويعرف ذلك **بالسند أو الإسناد** ثم نص الخبر ويسمى **المتن**[6].

ورد ذكر **أبان بن عثمان وعروة بن الزبير**: وهما من الجيل الثاني من المسلمين – على اعتبار أنهما مصنفان في المغازي، وفي الجيل التالي اشتهر بعض المحدثين بمجموعة شاملة لأحاديث المغازي وخاصة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي دون بالكتابة مواد الحديث نزولا على أمر الخليفة عمر ابن عبد العزيز أو الخليفة هشام بن عبد الملك، ويعزى

---

[1]– عبد العليم عبد الرحمان خضر، المسلمون وكتابة التاريخ (دراسة في التأصيل الاسمي لعلم التاريخ)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، (د.ب.ن)، 1995، ص 69.

[2]– القرآن الكريم، الصافات، آية 96.

[3]– القرآن الكريم، الرعد آية 31.

[4]– القران الكريم، هود آية 123.

[5]– القران الكريم، السجدة آية 05.

[6]– بتار ولد العربي ولد معط الله، مرجع سابق، ص ص 03– 04.

إليه الفضل في أنه أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر لإدماجها في حديث واحد، وقد كانت كل الأحاديث التي رواها الزهري أساس للكتب المؤلفة في المغازي[1].

تناول الحديث ما قاله الرسول (ص) وتناولت السيرة حياته وأفعاله فالحديث يبدأ وجوده من الشخص الذي دونه ويرتقي في جوفه الماضي إلى قول قاله النبي (ص) أو واقعة شاهدها أحد الصحابة عنه فحدثها لغيره، وتنقل لآخر حتى تصل إلى مدون الحديث، وبالتالي فالحديث هو المتن المتسلسل رواية من (أ) إلى (ي) متنقلا بين (ب) إلى (ج)، والإسناد هو التسلسل ذاته، فيقوم الحديث على أساس أولي هو الحفظ، وعلى فرض صحة ثبوت تذكره في الرواة[2].

لقد كان الدافع الرئيسي للعرب المسلمين لكتابة التاريخ هو القرآن الكريم الذي يفرق بين الأخبار والأساطير من جهة ومعرفة السيرة النبوية من جهة أخرى، حيث ظهرت دراسات تاريخية أطلق عليها اسم **السير والمغازي والأخبار والأنساب والفتوحات والتنظيمات** وأيضا الأمم والأديان القديمة وأخبار العرب في الجاهلية والمرويات السياسية والحضارية والاجتماعية والأدبية، وعلى أساسها تم وضع تقويم ثابت هو التاريخ الهجري وبذلك أصبح توقيت الأحداث وتاريخها هو العمود الأساسي للدراسات التاريخية، كما كان إنشاء الدواوين وحفظ الأنساب دافعا للاهتمام بالتدوين التاريخي[3].

إلى جانب مؤرخي المغازي والسير ظهرت طائفة اهتمت بالأخبار القديمة والقصص أطلق عليهم اسم الإخباريين حيث اتسعت المساجد لهم، فكانت أخبارهم تحتوي على كثير من التواريخ المزدحمة بالقصص والأساطير والبطولات المبالغ فيها، والأشعار المثيرة للانفعالات، وأخبار القبائل وأحوالها، فكان مزيجا اختلط فيه الواقع بالخيال، فكانت تروي كما يروى التاريخ، ولكن لا يدقق فيها كما يدقق المؤرخ، فكان هؤلاء الإخباريون النواة الأولى للرسائل التاريخية التي أخذت بعد ذلك تظهر وتؤرخ لأحداث بزغت منذ العهد الإسلامي، كحوادث الردة، وفتوح الشام والعراق ومصارع الخلفاء والخلاف بين الأمويين والعلويين، وقيام الدولة العباسية وغيرها من الأحداث الكثيرة في عالمنا العربي والإسلامي[4].

---

[1]– كب، مرجع سابق، ص 50.

[2]– إسماعيل أحمد آدهم، من مصادر التاريخ الإسلامي، ط01، منشورات صلاح الدين الكبرى، (د.ب.ن)، (د.ت.ن)، ص ص 09– 10.

[3]– حميدة مجول النعيمي مرجع سابق، ص ص20– 21.

[4]– محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 115.

ألف في سيرة الرسول (ص) ومغازيه جماعة من المؤلفين والرواة والمحدثين جاءوا على طبقات، فإلى جانب **أبان بن عثمان وعروة ابن الزبير** أرخ للسيرة **شرحبيل بن سعد** المتوفى سنة 123هـ، وقد كان مولى من موالى الأنصار، وروى عن زيد ابن ثابت وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة، كما اشتهر **محمد بن سالم الزهري** المتوفى سنة 124 هـ بالمغازي نظرا لذاكرته القوية أين عرف بقوة أسانيده وامتاز عن غيره بنوع جديد من الإسناد أطلق عليه اسم **الإسناد الجمعي**، حيث يدمج عدة روايات في خبر متسلسل وبالتالي فقد سار خطوة هامة نحو الكتابة التاريخية المتصلة، كما عرف **عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المتوفى سنة 135هـ**، بمقدرته في رواية الحديث، ولذلك عهد إليه عمر بن عبد العزيز بجمعه[1].

ومن المؤرخين الذين ذاع صيتهم ونالوا شهرة واسعة في القرن الثاني للهجرة **محمد بن عمر الواقدي** الذي كان حجة في الحديث والفقه والتاريخ، وقد ولاه هارون الرشيد القضاء بشرقي بغداد، ثم ولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي، ومن مؤلفاته **التاريخ الكبير، كتاب الطبقات، كتاب السيرة، كتاب المغازي، أخبار مكة، فتوح الشام .... الخ**، كما كان **علي بن محمد المدائني المتوفي سنة 220هـ**. من أوسع كتاب القرن الثاني الهجري وأكثرهم مؤلفات في التاريخ والسير، وقد ذكر ياقوت الحموي من مؤلفات المدائني عددا كبيرا من الكتب منها كتاب عن جدات النبي، وآخر عن صفته وكتاب عن أخبار المنافقين وأخبار قريش وكتاب آخر عن أخبار الخلفاء، وأخبار النساء وكتب أخرى في الأحداث منها كتاب " الردة " وكتاب " الجمل " وسلسلة أخرى عن الفتوح، وأخبار العرب والشعراء وأخبار الخيل، وقد انتفع مما كتبه جموع المؤلفين الذين جاءوا بعده فأكثروا من النقل عنه[2].

يعتبر أبان بن عثمان ووهب بن منبه من مؤرخي الطبقة الأولى الذين تعاظم شأنهم اهتماما بالتاريخ العربي الإسلامي في حين يأتي ابن حزم وابن قتادة وغيرهم من مؤرخي الطبقة الثانية، وموسى بن عقبة وابن اسحاق وابن هشام والواقدي وابن سعد ... من مؤرخي الطبقة الثالثة.

وفي العصور الوسيطة يبرز مدى تأثر الكتابة التاريخية بدراسات الحديث الشريف وطرق التحقق والتثبت من صحتها وما نتج عن ذلك من قواعد منهجية، وهكذا فقد نشأت علاقة

---

[1]- محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 116.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 118- 119.

وثيقة بين علم الحديث والتاريخ، كما تميزت الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين بأنها كانت مستقلة ومتقدمة عن الحضارات القديمة والمعاصرة، ولم يتأثروا بالإغريق أو الرومان أو غيرهم بل اعتمدوا على إبداعاتهم واجتهاداتهم، وبذلك فقد تمكنوا من تطوير الكتابة التاريخية[1].

شهد القرن الثالث الهجري منعطفا حاسما في ظهور ما سمي بالمؤرخين الكبار الذين أسهموا في تطور المنهج التاريخي، فاختط الطبري[2] نهجه الذي عرف به اين تسمت مصادره بالتنوع ومراعاة الاختصاص معتمدا على مشاهير الإخباريين والمؤرخين كمصدر له في العهود السابقة أما منهجه في الكتابة فقد كان أساسه الاعتماد على السند الذي بقي ملتزما به في جميع رواياته[3].

بقيت الطريقة الحولية إحدى ركائز المنهج التاريخي للطبري حفظ من خلالها موروث القرون الثلاثة الأولى من الإسلام استساغها كبار المؤرخين من أمثال مسكويه وابن الأثير وابن كثير ووجدوها اكثر تلبية لأغراضهم في استيعاب التاريخ الإسلامي بشكل عام، فعلى الرغم من أن تاريخه أصابه بعض النقد إلا أنه يمثل أحد أعمدة التاريخ الإسلامي واحد أبرز مصادره وذاكرة حادة له، نظرا لما اختزنه من تفاصيل دقيقة وحاسمة وموثقة[4].

مر التدوين التاريخي العربي بثلاث مراحل، أولها التدوين الشخصي بالنسبة للهدف من التدوين، حيث كان التدوين يؤخذ من أفواه الرواة، وثانيها مرحلة تدوين الموضوعات المنفردة المستقلة وظهور الرسائل التاريخية الصغيرة وثالثها ظهور المؤلفات التاريخية الشاملة على

---

[1]– حميد مجول النعيمي وآخرون، مرجع سابق، ص 04.

[2]– هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، ولد سنة 224هـ فهو الإمام الجليل المجتهد المطلق صاحب التصانيف البديعة وأحد أئمة الدنيا علما ودينا، من أهل أمل طبرستان، قال عنه الفرغاني، كان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد، سمح له أبوه بالسفر وكان طول حياته ينفذ إليه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان، فسمعته يقول: أبطأت عني نفقة والدي واضطررت إلى أن فتقت كمي القميص فبعتها، من مؤلفاته ، التفسير، التاريخ ، تاريخ الرجال، اختلاف علماء الأمصار، ترتيب العلماء ... الخ ... توفي سنة 310هـ ودفن ببغداد، للاستزادة أنظر، الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق أبو طيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية المؤتمن للتوزيع، الأردن، (د.ت.ن).

[3]– إبراهيم بيضون، مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية، ط01، دار المؤرخ العربي، لبنان، 1995، ص 38.

[4]– المرجع نفسه، ص 39.

أساس الترتيب الزمني المتسلسل، فكان محمد بن جرير الطبري إلى جانب كلا من خليفة بن خياط وأبو حنيفة الدينوري أهم من مثل هذه المرحلة[1].

اتخذ التأليف التاريخي مسارات واتجاهات متعددة في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، فكان التأليف في السيرة أقدم أنواع التأليف التاريخي ظهورا اهتم بسيرة المصطفى (ص) وجمع الأخبار والتأليف فيها، والتأليف في التراجم خاصة ما تعلق بمعرفة الصحابة وتمييزهم عن غيرهم ثم معرفة الطبقة التي حملت عنهم رواية السنة ثم الذين بعدهم وهكذا، فكان الطبري من بين الذين اهتموا بهذا التأليف في كتابه "ذيل المذيل" من تاريخ الصحابة والتابعين ومن المجالات أيضا التي شملها التأليف التاريخي في نفس الفترة فتوح البلدان والبحث فيها، وكتب الأموال والبحث في النظم المالية للدولة الإسلامية وكل ماله علاقة بالفتوحات والتأليف في الأنساب وتواريخ المدن وخططها وأخبار الخلافة والأحداث التاريخية والتاريخ العام (العالمي) وذلك بالبحث والاستفادة من التجارب البشرية على مدار التاريخ العالمي[2].

2-3 مراحل التدوين التاريخ عند العرب خلال القرون الثلاثة للهجرة:

استنادا إلى ما ذكر سابقا يمكن ملاحظة أن نشأة التدوين التاريخي عند العرب مر بثلاث مراحل مترابطة ومتشابكة نوجزها فيما يلي:

- **المرحلة الأولى:**

يطلق عليها اسم التدوين الأولي ويتم التدوين فيها بالطابع الشخصي بالنسبة للهدف من استخدام التدوين وبطابع العفوية والفضول العلمي والمنفعة الدينية أو الاجتماعية بالنسبة للمصلحة العامة، بدأت عملية تدوينه نقلا عن الشفاه وغيرها من السجلات والوثائق والكتب، ومن رواة هذه المرحلة يزيد عقيل ابن أبي طالب الأخ الأكبر لعلي الذي كان يروي في مسجد المدينة و المستمعون من حوله، وقد امتدت حتى مطلع القرن الثاني للهجرة[3].

- **المرحلة الثانية:**

[1]- محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط01، دار ابن الجوزي للنشر، المملكة العربية السعودية، 1429هـ ، ص288.

[2]- للاستزادة أنظر، المرجع نفسه.

[3]- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج01، ط03، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1983، ص 93.

امتدت خلال القرن الثاني للهجرة كله تقريبا اهتم خلالها الإخباريون بجمع الأخبار والمواضيع والأحداث المختلفة ومن جميع الأفواه والرواة، كل منها على حدى وفي كتاب يحمل عنوانه الخاص، وكانت تشكل في مجموعها المادة التاريخية الأساسية لكتابة التاريخ الإسلامي ومختلف مواضيعه خاصة تاريخ العرب الجاهلي وبعض تواريخ الأمم، ومن رواد هذه المرحلة أبو مخنف (ت 157هـ)، وهو الإخباري الذي كتب 32 كتابا تحمل عناوين الردة، الشورى، صفين، الخوارج ... الخ[1].

- **المرحلة الثالثة:**

سميت بمرحلة تدوين التاريخ على الأساس الزمني المتسلسل وجمع المواضيع المتعاقبة على التوالي في كتاب واحد، وهي تستند في فلسفتها العميقة إلى فكرتين أساسيتين:

- وحدة التاريخ الإسلامي وأهمية تجارب الأمة.
- وحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الأنبياء.

توطدت في هذه المرحلة واستقرت مناهج التاريخ الإسلامي والتدوين التاريخي ومن روادها نذكر ابن إسحاق صاحب السيرة الذي ينسب إليه كتاب تاريخ الخلفاء وكتاب السير في الأخبار والحوادث[2].

يمثل أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قمة ما وصل إليه التدوين التاريخي عند العرب، بحيث يعد كتابه (تاريخ الرسل والملوك) أهم المصادر وأغزرها مادة تعرض فيه في القسم الأول إلى بدء الخليقة، ثم عرض للأنبياء وصولا إلى الرسول (ص) وأرّخ للأمم القديمة السابقة للإسلام، وتناول في القسم الثاني عصر الرسالة المحمدية والخلفاء الراشدين وعصر الدولة الأموية وعصر الدولة العباسية، وقد تأثرت نظرته في هذا القسم بدراسته وثقافته كمحدث وفقيه تجسدت رواياته التاريخية وقيمتها في قوة أسانيدها وقد سار في تنظيم مادته في القسم الخاص بالتاريخ الإسلامي على ترتيب السنين أو ما يعرف بالحوليات، وبالتالي فهو أول مؤرخ مسلم دون التاريخ على هذه الطريقة، وسار العديد من المؤرخين الذين جاءوا بعده على نفس الطريقة من أمثال: **مسكويه وابن الجوزي وابن الأثير وأبو الفداء والذهبي وغيرهم**[3].

---

[1]- شاكر مصطفى، مرجع سابق، ص 96.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 99- 100.

[3]- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص ص 88- 89.

أدرك المسلمون العرب أهمية وخطورة التاريخ في بناء حضارتهم، لذلك عملوا على إحاطته بالاهتمام والعناية اللازمة، ففي القرن الرابع الهجري وهو العصر الذهبي للحضارة الإسلامية ازدهرت العلوم والمعارف كافة وفي مقدمتها التاريخ فازداد رسوخا وتألقا وتحسنا من حيث المواضيع ووفرتها متسما بمميزات وسمات خاصة بالاعتماد على مناهج متعددة للتدوين التاريخي كالمنهج الحولي، وتاريخ الدول والتاريخ بعهود الخلفاء والحكام والجمع بين تاريخ الدول والعهود ... الخ[1].

واعتمادا على مبدأ النقد تميز المؤرخون العرب في تسجيل الأخبار التي أوردوها، فتنوعت بذلك مواضيعه وتضخمت فأدى ذلك إلى تنوع المنهج والأسلوب والهدف والمصادر، وظهر التطور في منهج التاريخ الإسلامي في أمرين، التدوين التاريخي والتنظيم التاريخي وبذلك فقد خطا العرب المسلمون بعلم التاريخ خطوات مهمة وجبارة أرست قواعده ونظمت شؤونه ليصبح علما قائما بذاته واضح المعالم والأهداف[2].

2-4 تطور الكتابة التاريخية بعد القرن الثالث الهجري وقبل ظهور ابن خلدون:

نشطت كتابة التاريخ الإسلامي في أواخر عهد الدولة الأموية، وفي عصر الطبري كان الناس يسمعون منه التاريخ والتفسير مستفيدا من حركة النقل عن اللغات الأجنبية التي بدأت في القرن الثاني الهجري واستعمل طريقة الإسناد التي جرى عليها رواة الحديث أين تأثر بطريقتهم في الكتابة، فلم يفكر في تعليل الحوادث ولم يحاول معرفة أسبابها ولم يعمل على كشف البواعث العميقة المستخفية التي تعمل وراء التغيرات الاجتماعية الظاهرة، فكان يكتفي بذكر الأسباب المباشرة، وهي طريقة انتقدها ابن خلدون في مقدمته[3].

يذكر المسعودي في قوله: "عن معاوية ابن أبي سفيان أنه كان يستمر إلى ثلث الليل يستمع إلى أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة ... ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر التي فيها سير الملوك وأخبارهم والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون".

يتبين لنا من خلال ما ذكره المسعودي أن هناك عوامل أدت إلى تطور الكتابة العربية كان أولها محاولة خلفاء بني أمية التعرف على سياسات ملوك الأمم المجاورة، وثانيها

---

[1]- حميد مجول النعيمي، مرجع سابق، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 20.

[3]- علي أدهم، مرجع سابق، ص 33.

احتكاكهم بشعوب وأمم لها تاريخ عريق، وثالثها توافد المصادر الأصلية للمادة التاريخية مما أدى إلى تطور علم التاريخ عند العرب المسلمين ورابعها النشاط الذي دب في أوصال الأمة الإسلامية مما ولد حافزا أدى إلى ارتفاع مستويات الثقافة والمعيشة وخامسها ظهور البدع في المجتمعات الإسلامية ومحاولة البعض منهم التشبه بالنصارى واليهود، وفي هذا الصدد فقد ذكر **المقريزي** ذلك تحت عنوان: "ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم ..."[1].

كما أن هناك عوامل أخرى عديدة أسهمت في تطور التاريخ العربي الإسلامي لعل أهمها ظهور واتساع حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية، وتشجيع الخلفاء عليها، كما كان للحركة الشعوبية التي برز دورها وتأثيرها على المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الأثر الأكبر في مجال الكتابة التاريخية وتطورها دون أن ننسى أهم شيء ألا وهو ظهور الورق واستخدامه لاسيما عند تأسيس أول مصنع في بغداد سنة 794م، وبه شاعت الكتابة كما استلزم لنظام العطاء الجديد والجند الذي ركب حسب الأنساب وحسب الأسبقية في الإسلام أن تكون هناك مدونات ثابتة ساعدت كمصادر على الكتابة التاريخية لاسيما كتب الطبقات[2].

أدت بعض الخلافات بين المسلمين بعد وفاة النبي (المهاجرين والأنصار، الخلاف بين الأمويين والشيعة، وبينهم وبين الخوارج، والفرق المتصارعة الأخرى) إلى ظهور مؤرخين مؤيدين لطرف ضد آخر يدعمون حجج وأفكار كل فريق لقضايا دينية تؤيد جانبهم السياسي وتؤيد ادعاءاتهم في مواجهة الطرف الآخر[3].

بلغ الاهتمام بالتاريخ الحضاري ذروته عند المسعودي (896 م- 957 م) أين اشتهر بحبه للأسفار والرحلات مشاهدا لأوضاع الناس والمجتمعات فيقول:"... لكل إقليم عجائب يقتصر على علمها أهله، وليس من لزم جهة وطنه، وقنع بما نما إليها من الأخبار عن إقليمه، كمن قسم عمره على قطع الأقطار، وزرع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفس من مكمنه"، ويؤكد في ختام مقدمته شمولية منظوره

[1]- سعد بدير الحلواني، مرجع سابق، ص ص 78- 79.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 80- 81.

[3]- سعد بدير الحلواني، مرجع سابق، ص ص 80- 81.

الحضاري فيقول: "... ولم نترك نوعا من العلوم، ولا فنا من الأخبار، ولا طريقة من الآثار إلا أوردناها في هذا الكتاب مفصلا، أو ذكرناه مجملا ..."[1].

وخلاصة القول أن الأمة العربية وعلى مدار تاريخها منذ صدر الإسلام خاصة، اندفع مؤرخوها للكتابة تم على أساسها وضع القواعد الأساسية للتدوين التاريخي أين برز كثير من المؤرخين اكتملت من خلال مؤلفاتهم دعائم التاريخ العربي الإسلامي على مر العصور منذ السنة الأولى للهجرة ومنهم ابن قتيبة (ت 270هـ) والبلاذري (ت 279هـ) وغيرهم.

ظهر في القرن الرابع الهجري عدد من المؤرخين يفوق عددهم بقية القرون، فبالإضافة إلى المسعودي (ت 346هـ) ظهر الجهشياري (ت 331هـ)، وابن عبد الحكم (ت 353هـ)، والأفغاني (ت 360هـ) وهم من مؤرخي القرن الرابع، وفي القرن الخامس برز من المؤرخين مسكويه (ت 421هـ) والخطيب البغدادي (ت 364هـ)، وابن عساكر (ت 571هـ) وابن الجوزي (ت 597هـ)، والصولي (ت 335هـ) وابن النديم (ت 385هـ) ومحمد ابن اعثم الكوفي (ت 314هـ)، والثعالبي (ت 429هـ)، والماوردي (ت 450هـ).

وفي القرن السادس والسابع تألق ابن الاثير (ت 620هـ)، ليأتي القرن الثامن الهجري وتظهر كوكبة أخرى من المؤرخين، فبالإضافة إلى ابن خلدون فقد نبغت أسماء لمؤرخين كثر نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر، الذهبي (ت 748هـ)، والنويري (ت 732هـ) وياقوت الحموي (ت 626هـ)، وأبو الفداء (ت 732هـ) والصفدي (ت 674هـ) ومحمد بن سلمان الكافيجي (ت 879هـ) ومحمد بن شمس الدين السخاوي (ت 902هـ).

فكان لهؤلاء كلهم الفضل الكبير في تطوير التاريخ من مراحله السابقة الى مرحلة البحث والتحليل والاستقصاء[2].

2-5 مساهمة ابن خلدون في كتابة التاريخ العربي:

عاش ابن خلدون[3] في القرن الثامن الهجري في زمن قلت فيه شمس الحضارة العربية الإسلامية نتيجة التقهقر والانحطاط في شتى مجالات الحياة المختلفة سواء السياسية أو

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص 116.

[2]- حميد مجول النعيمي، مرجع سابق، ص 22.

[3]- هو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن خالد بن عثمان بن هانئ بن الخطاب بن كريب بن يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر، اكتسب كنية أبي زيد ومن اسم ابنه الأكبر على جاري عادة العرب في الكنية، ولقب بولي الدين بعد توليه وظيفة القضاء في مصر، اشتهر بابن خلدون نسبة إلى جده التاسع خالد بن عثمان، وهو أول من دخل من هذه الأسرة بلاد الاندلس مع الفاتحين، واشتهر فيما بعد باسم خلدون وفقا للطريقة التي=

الاجتماعية وحتى الفكرية والاقتصادية نتيجة العديد من الحوادث المختلفة لعل أهمها وأبرزها هجمات التتار شرقا، وتقلص حكم المسلمين في الأندلس غربا إلى الصراعات الداخلية وضعف الأسر الحاكمة وكثرة المؤامرات، ناهيك عن مرض الطاعون الجارف وانتشار التفكير الخرافي وسيطرة الجمود الفكري خاصة في بلدان المغرب، فلا نجد أبلغ تعبير من قول ابن خلدون حينما قال:"... **وأما لهذا العهد، وهو آخر المائة الثامنة، فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه، وتبدلت بالجملة، واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب، بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البدان لملكهم ... هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلّها وفل من حدها وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحواله، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وحلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبدل الساكن، وكأني بالمشرق قد نزل به ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة ...**"[1].

أولى ابن خلدون عناية فائقة بالتاريخ نظرا لأهميته الكبيرة في فهم الظاهرة الاجتماعية، ومن منطلق هذا الإدراك العميق توصل إلى أن العلوم العمرانية في النظرية الاجتماعية هي نتيجة خبر عن الاجتماع الإنساني، فلا يمكن في أية حال فصل هذا الأخير عن التاريخ نظرا للعلاقة الوظيفية التي تربط التاريخ وعلم العمران البشري[2].

اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي زارها وسكن بجوارها واحتك بها، فتعقب تلك الظواهر في تاريخ الشعوب في العصور السابقة، ورأى أن نشأة الدول مرت على ثلاث مراحل هي مرحلة البداوة ومرحلة التحضر إلى مرحلة التدهور، فتأثر به عدد كبير من علماء الاجتماع الذين جاءوا من بعده، من أمثال "فيكو"

=جرى عليها أهل الاندلس والمغرب، إذ كانوا يضيفون إلى الأعلام واوً ونونا للدلالة على تعظيمهم لأصحابها (خالد، خلدون). للاستزادة أنظر، حسين عاصي، ابن خلدون مؤرخا، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991.

[1]– المرجع نفسه، ص ص 60– 61.

[2]– للاستزادة أنظر، نذير معيزي، أسس المنهج التاريخي عند ابن خلدون، مقال في مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج 01، ع 02، الجزائر، 2020.

الإيطالي، و"ليسينج" الألماني و"فولتير" و"كانط" و"جان جاك روسو" الفرنسيين، والعلامة الإنجليزي "مالتس"[1].

عدد ابن خلدون مكانة وأهمية التاريخ في كتابه المقدمة إذ يقول: "... إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا"[2].

يمكن اختصار قواعد المنهج في علم التاريخ عند ابن خلدون في إعمال الشكوك وعدم قبول أي شيء مالم تتم التحقق والتأكد منه بالفطنة والبداهة هذا بالإضافة إلى قاعدة التحليل والتركيب والمراجعة العامة من أجل الخروج بقواعد قابلة للتعميم[3].

طرح المفكرون العديد من التساؤلات واختلفوا بشأنها ومن أهمها، هل يعتبر ابن خلدون بمقدمته منشئ علم الاجتماع أم مؤسس فلسفة التاريخ؟، هل هي نظرية في فلسفة السياسية أم في التفسير الجغرافي للظواهر الاجتماعية؟، أم أنه قد أسس بالمقدمة فلسفة للحضارة؟

إن السبب وراء هذه النزاعات أن ابن خلدون كان متعدد التوجهات والجوانب، فلم يكن منحازا إلى أية مدرسة، بينما درجت المدارس الفكرية على النزعة الواحدية، إذ لم يفسر الظواهر الاجتماعية أو الوقائع التاريخية على ضوء نظرية معينة دون غيرها، بل التفسيرات الاقتصادية إلى جانب التأويلات النفسية، فضلا عن التفسير الجغرافي[4].

عرف عند المؤرخين بأن ابن خلدون هو واضع أساس علم التاريخ فحينما اتجه غيره إلى سرد الأحداث التاريخية والتاريخ للشخصيات اعتنى هو بدراسة العوامل الاقتصادية والاجتماعية، فألف كتابا ضخما سماه "**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"، وهو عبارة عن فصول طويلة تكلم فيها عن نظم الحكم والسياسة في العالم الإسلامي، باحثا من خلاله على ما عرفه المسلمون من مهن وصنائع ونظم اقتصادية وعلوم وفنون، واضعا بذلك لكتابة التاريخ منهجا جديدا من

---

[1]– أنور محمود الزناتي، مرجع سابق، ص ص 80– 81.

[2]– للاستزادة أنظر، مبارك جعفري، "ابن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ من خلال كتاب المقدمة"، **مجلة الحقيقة**، ع 32، جامعة أحمد داريه، أدرار، الجزائر، 2020.

[3]– للاستزادة أنظر، نذير معيزي، مرجع سابق.

[4]– عارف أحمد اسماعيل المخلافي، مرجع سابق، ص ص 65– 66.

نقد الحقائق وتعليلها، أين جعل المجتمع وتكوينه ونظمه وتطورها موضوعا للدرس العميق والتفكير الحر[1].

حينما اتجه ابن خلدون لدراسة كتب تاريخ من سبقوه من مؤرخي العرب المسلمين، وجد نفسه في خلاف مع المفهوم المتفق عليه والشائع بينهم للتاريخ، مع ملاحظة وجود العديد من الأخطاء المنهجية في دراستهم له، مما أدى بالكثير منهم إلى الفشل في قول الحقيقة والوصول لها وتصوير كل ما حصل في الماضي، لذا فقد عمل على توضيح تلك المفاهيم في فاتحة مقدمة كتابه العبر من حيث تبيان مفهوم التاريخ والأسباب التي دعت المؤرخين إلى الخطأ أو الكذب في نقل الأخبار[2].

فمهد له ذلك الأمر الطريق لوضع القواعد والمعايير التي ينبغي على المؤرخ مراعاتها في كتابة البحوث التاريخية من أجل تجنب أخطاء الماضي، فاتسم مفهوم التاريخ عنده من حيث الموضوع والامتداد الزماني والمكاني، لذا وصف بأنه مؤرخ ذو نزعة شمولية عالمية في كتابة التاريخ فضلا عن نزعته الحضارية في هذا المجال، وخير دليل على توجهه هذا حينما ذكر في كتابه المقدمة قائلا: "**اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما تعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصيان وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما يتحمله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش، والعلوم والصنائع وسار ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال**"[3].

ونتيجة لما ذكر فالتاريخ عند ابن خلدون مرآة تفسير لأحداث البشر تفسيرا علميا دقيقا وممتعا، فهو ليس حوادث منعزلة أو مفككة خارجة عن سياقها وظروفها وملابساتها ولذلك فإن الأخبار كما يذكرها هو" ... إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في المجتمع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ..."[4].

---

[1]– محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 121.

[2]– هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 130.

[3]– المرجع نفسه، ص 131.

[4]– عبد العليم عبد الرحمن خضر، مرجع سابق، ص 147.

اتخذ النقد التاريخي عن ابن خلدون صيغة النظرية العلمية المتكاملة والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث محاور أساسية، فالمحور الأول فهو أسباب تطرق الخطأ والوهن إلى المؤرخ، أما المحور الثاني فهو أسباب الكذب في التاريخ في حين تناول المحور الثالث قوانين نقد الأخبار التاريخية، وكلها محاور تتطلب معرفة واسعة بأحوال الأمم ودقائق تاريخها، وكذلك ذهنية متفتحة وذاكرة جيدة وعقل راجح من أجل القدرة على التحليل والنقد، دون الخضوع والميل لأي اتجاه كان[1].

[1]– صائب عبد الحميد، مرجع سابق، ص 70.

المحاضرة الثالثة: العلوم التي لها صلة بالتاريخ.

تمهيد:

من المعروف أن الهدف من دراسة التاريخ هو التعرف على الأحداث، للإجابة على العديد من التساؤلات ومعرفة النشاط الإنساني، وايجاد تفسيرات معرفية لها، وبالتالي فهو اختصاص له طرائق وقواعد وأسس ينفرد بها على بقية العلوم الأخرى ومنها سعة مواضيعه العلمية التي وجب على الباحث التفرد بها وأن يكون على علم بها.

يعتبر التاريخ من أصعب مواضيع البحث العلمي، ذلك أن الباحث في التاريخ يجب عليه التسلح بمعارف متعددة ومتنوعة وأن يدرك مدى العلاقة بين التاريخ والعلوم التي لها صلة به ومدى تشابك تلك العلاقة هذا بالإضافة إلى معرفة المناهج والمصطلحات التي تتميز بها تلك العلوم ليستفيد منها المؤرخ والباحث في التاريخ وبالتالي يفترض عليه أن يكون ذا ثقافة عالية وواسعة وله علم بالعلوم التي لها صلة بالتاريخ [1].

لقد أدى تطور التاريخ منذ سبعينيات القرن الماضي إلى أن اصبح بالإمكان الحديث عن حاجة المؤرخ أن يلم وينسجم مع علوم أخرى، فالتطور التكنولوجي مهد لاكتساح الإعلامية جل مجالات العلوم الإنسانية، فالتخصص لن ينفك يكتسح كل المجالات في حين لا يستطيع أي علم من العلوم الاكتفاء بذاته بحسب ما ذهب إليه ابن خلدون حين ذكر بأنه وجب أن تكون للمؤرخ"... مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط ..."[2].

يرى "هرنشو" بأن التاريخ يبحث في الفعل ورد الفعل الصادرين عن إنسان غير متغير أصلا، وعن بيئة غير متغيرة أصلا، ذلك هو التاريخ: "فهو ليس كالفلك والكيمياء، ولكنه علم نقد وتحقيق يمر بثلاث مراحل أساسية وهي مرحلة التجميع ومرحلة النقد ومرحلة التأويل، فالتاريخ يتميز بالمرونة وباستطاعته أن يحوي كل العلوم، فالمؤرخ يمكنه أن يكون مؤرخا للعلوم والهندسة والطب والفلك والرياضيات وبمعنى أصح باستطاعة التاريخ أن يستوعب مختلف العلوم والآداب وهو الوحيد القادر على احتوائها في قالبه التاريخي المميز"[3].

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 13.

[2]– فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص 123.

[3]– حسان حلاق، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، (د.م.ن)، (د.ب.ن)، (د.ت.ن)، ص ص 60– 63.

3-1 العلوم الرافدة للتاريخ[1]:

بحسب ما ذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، فهي العلوم التي تدخل مادتها في صلب التاريخ ، وبمعنى أدق هي العلوم التي تؤلف نتائجها أدوات أساسية ومعارف إضافية للباحث التاريخي وهي:

- علم الآثار:

يعتبر علم الآثار من العلوم المهمة والرافدة للتاريخ، فهو تقنية تاريخية جديدة لدراسة الوثائق الصامتة لجعلها تتكلم، فالشواهد الصامتة والمكتوبة لها دور في الحقل التاريخي، فلا يمكن الاستغناء عن هذا العلم، فرؤية الماضي من خلال الأثر الأركيولوجي هي الأكثر تشخيصا.

فالحفريات التي قام بها علماء الآثار كشفت عن مخطوطات ونقوش لم تكن معروفة من قبل وذلك باستخدام العلماء لتقنيات جديدة في البحوث "كالتصوير الجوي" لمعرفة أماكن التجمعات الأثرية، وقد امتد واتسع نطاق الحفريات الأثرية إلى أعماق البحار وذلك من أجل البحث على سفن قديمة غارقة من أجل المساعدة على توسيع عمل التاريخ وإخصابه عادة جديدة[2].

- علم المسكوكات النميات:

ويطلق عليه Numismatics وهو يهتم بالنقود والمسكوكات وتطورها عبر العصور نظرا لقيمتها ومكانتها كأحد أهم مصادر دراسة التاريخ فالنقود والمسكوكات والعملة والأنواط وما تحملها من رموز وصور للملوك والآلهة وكنياتهم وأسمائهم ونوعيتها تفيد الباحث كثيرا، إذ هي تعبر عن الحالة الاقتصادية التي عاشها شعب أو مجتمع ما في هذا العالم، فهي بالتالي مرآة عصر لذلك الزمن الذي ظهرت فيه[3].

إن خير دليل على أهمية المسكوكات ما ذكره أحد الباحثين المعاصرين: "... إن دراسة العملة علم وفن وتاريخ، علم لأن لها أصول وقواعد، وفن لأن العملة مجال دراسة فنية وتصويرية، وتاريخية لأنه سهل تصنيفها زمنيا وحسب الأماكن التي ضربت فيها، فضلا عن النقوش والتواريخ التي تحملها العملة، ولهذا ساهم علم دراسة النقود مساهمة كبيرة في إثراء

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 14.

[2]- ليلي الصباغ، مرجع سابق، ص ص 116- 118.

[3]- أحمد عليوي صاحب، مرجع سابق، ص 64.

المعرفة التاريخية ببلدان العالم القديم والحديث، خاصة عندما تصمت الوثائق أو تعجز عن التعبير، أو تكون نادرة"[1].

- علم قراءة الخطوط القديمة أو تطور الخط:

وجب على المؤرخ أن يكون عالما بالخطوط التي سيكتب عنها بحثه أو يستفيد منها فلا يمكن لباحث في التاريخ العثماني مثلا أن لا يكون عارفا وملما بالخطوط العثمانية القديمة وأهمها الخط الديواني، وخط القيرمة، فالأول كانت تكتب به الأوامر السلطانية، في حين استخدم الخط الثاني في الشؤون المالية والإدارية للدولة العثمانية [2].

- فقه اللغة .Philology:

المقصود بفقه اللغة هو دراسة اللغة من خلال الوثائق والنصوص التاريخية وكيف تطورت منذ سالف العصر إلى الوقت الحاضر، كما اهتم هذا العلم بدراسة الكلمات وتاريخيها وتطورها وتطور مضامينها، فحاجة المؤرخ إلى هذا العلم تتمثل في معرفة وفهم النصوص التاريخية لذلك العصر، واللغة التي كانت تتكلم بها تلك الأقوام والمجتمعات، فكلمة ما قد تحمل أكثر من معنى، وقد تؤدي إلى معنى آخر ارتباطا بالزمان والمكان[3].

- الوثائق:

يطلق عليه أيضا علم الدبلوماتيك Diplomatics، ويعنى بدراسة وتحليل ونقد الوثيقة وتحديد زمانها، وهو علم معروف قديما عند العرب المسلمين على عكس الغرب[4].

- علم الأختام:

استخدمت في القديم الأختام المعدنية من قبل الملوك والسلاطين والأمراء في أزمنة مختلفة، وهو يعبر عن الواقع المعيشي الذي كانت تعيشه الشعوب القديمة، فوجدت مثلا أختام الذهب عند بعض الملوك في أوروبا في العصور الوسطى، وقد تعددت الأختام وتنوعت، وقد كتبت عليها علامات وشعارات وعبارات معينة تميزها عن غيرها، وكانوا يستعملونها (العرب المسلمين خاصة) في تواقيعهم على الوثائق والسجلات التي يختم عليها، وفي ذلك يقول ابن خلدون:

---

[1]- أحمد عليوي صاحب، مرجع سابق، ص 65.

[2]- عادل حسن غنيم، جمال محمود جر، مرجع سابق، ص 39.

[3]- أحمد عليوي صاحب، المرجع السابق، ص 67.

[4]- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 45.

" ... خاتم السلطان وهو طابع منقوش فيم اسم السلطان، أو شارته يغمس في طين أحمر، مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه وإلصاقه..."[1].

- **علم الشفرة أو الكريبتوغرافيا** Cryptographie:

يلجأ إليه لفك رموز الشفرة أو رموز السرية الاصطلاحية التي تبناها طرفان لإخفاء مضمونها عن طرف آخر باستخدام العديد من التقنيات، كما تطلق هذه التسمية كذلك على التقنيات المستخدمة في تدوين تلك الكتابة[2].

- **علم النقوش أو الكتابات القديمة:**

وهو علم يدرس السجلات على مادة دائمة البقاء كالحجارة والمصحف فلكل بلد أو حضارة ما نقوش كتابية خاصة بها، ويعتبر النقش الكتابي وثيقة أولى وشاهد مباشر تصل للباحث مباشرة دون وسيط، على نقيض المؤلفات التاريخية القديمة التي تصلنا عبر مخطوطات نقل بعضها عن بعض عبر قرون مختلفة[3].

- **علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا Anthropologie:**

يهتم بثقافة الإنسان منذ الأزل أو ما يطلق عليه بالسلالات البشرية وتوزعها وتنوع ثقافاتها ومعارفها، فهو بذلك يهدف إلى تصنيف تلك الأنماط و النماذج وتحديد أوجه التشابه والاختلاف بينها[4].

- **علم الأنساب:**

يدرس هذا العلم أنساب الناس بحسب تسلسلهم عبر الزمن ولقد شغلت حمى النسب قديما الناس وهكذا، ففي كل بلد عربي وإسلامي آلاف مؤلفة من الأسر تزعم أنها من نسل فاطمة الزهراء وهكذا، ويسمح هذا العلم للمؤرخ بالتعرف على التطور البشري وما يرتبط به من ملكية الأرض والوراثة وصلات القرابة التي تمكننا من معرفة أمور كثيرة وهامة كالحروب والمعاهدات والألقاب وغيرها[5].

- **علم السلالات** Ethnogrephie:

---

[1]- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 47.

[2]- ليلي الصباغ، مرجع سابق، ص 121.

[3]- المرجع نفسه، ص 130.

[4]- ناصر الدين سعيد وني، مرجع سابق، ص 17.

[5]- المرجع نفسه، ص 18.

السلالة مفهوم إحيائي يعني قسما من أقسام النوع، والنوع مجموعة من الحيوانات تستطيع التزاوج فيما بينها إذا سنحت لها الفرصة ولا تستطيع التزاوج مع حيوانات أخرى، وكل نوع إحيائي معروف له اسم، أما عن السلالات البشرية فليس هناك اتفاق عام على عددها ولا من حيث الشعوب التي تنتمي إليها[1].

يهتم علم السلالات والأجناس البشرية أو الإثنوغرافيا بدراسة الظواهر المادية لنشاط الإنسان انطلاقا من شروط حياته المعاشية اليومية، ومنه تكتسي طابع علم تحليلي على صلة كبيرة بمجال دراسات ما قبل التاريخ والآثار والتاريخ وعلم اللسانيات[2].

- علم السير والتراجم:

التراجم نوع من الأنواع الأدبية التي تتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة المترجم، أما السيرة فقد استعملت لفظتها في أول الأمر في سيرة الرسول (ص)، والفرق بين السيرة والترجمة ليس في الفوارق اللغوية، ما يبين الفرق بينهما على وجه التحديد، إلا أن الاصطلاح هما صاحبا الفتوى هنا، فقد جرت عادة المؤرخين أن سموا الترجمة بهذا الاسم حتى لا يطول نفس الكاتب فيها، فإذا ما طال النفس واتسعت الترجمة سميت سيرة [3].

تهدف السير إلى الكشف عن كل ما تعلق بالحياة الشخصية لشخص ما، أما الترجمة لحياة الأشخاص وما كتبوه وعن أنفسهم وكلا من السير والتراجم توفران للمؤرخ معلومات قد تفيده في بحثه وتساعده في الإجابة على بعض الإشكاليات، على أن التراجم الشخصية يطبع عليها طابع الذاتية وموضوعيتها محدودة يتوجب على المؤرخ الحذر وأن يسلط عليها النقد والتمحيص لمعرفة الحقيقة، ومن أشهر من كتب في التراجم **تراجم بلوتارك وميشو**، صاحب البيبليوغرافيا العالمية، أما عن الترجمات الشخصية فقد اشتهر **أيكزينوفون وقيصر والقديس أوغسطين، وشارل ديغول وغيرهم**[4].

---

[1]- للاستزادة أنظر، كارلتونداس كون، ادوارد أ- هيت، السلالات البشرية الحالية، تر: محمد السيد غلاب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، سبتمبر 1975.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 16.

[3]- عبد الغني حسن وآخرون، التراجم والسير، دار المعارف، (د.ب.ن)، (د.ت.ن)، ص 26.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 17.

- علم الأسماء:

يقول الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي في كتاب **(بين علم آدم والعلم الحديث)**، أن الأسماء ماهي إلا عناوين الأشياء وتعريفاتها وخصائصها ومنافعها، ومضارها التي لها أهمية بالغة في مجال الخلافة في الأرض، ولا تقوم الخلافة، أي سيادة العالم والسلطة على الكينونات إلا بهذا العلم [1].

يتصل علم الأسماء Onornastique بتسمية الأماكن والأشخاص مكتسبة قيمة الوثيقة التاريخية من حيث استخلاص المعلومات الخازنة لها والدالة عليها[2].

3-2- العلوم المفسرة للتاريخ[3]:

تساهم هذه العلوم المؤرخ في تفسير الأحداث التاريخية، وبالتالي فهي ضرورية في تقدم المنهجية التاريخية، ومن تلك العلوم:

- علم الاجتماع:

إن تحليل المجموعات الإنسانية الحالية هو أحد الموضوعات التي تحظى باهتمام علماء الاجتماع، إذ يعتبرون المجموعات الاجتماعية أشخاص ذو صلة ببعضهم البعض، ويعتبر الواحد منهم نفسه من أجل غايات معينة صنوًا للآخر وتتناوب حجم المجموعة الصغيرة المتماسكة، وللتمييز بين المجموعات يستخدم بعض علماء الاجتماع اصطلاحي "أولي" و"ثانوي"، ولكنهم يختلفون بشأن الخصائص التي تميز طائفة عن الأخرى، وقد اهتدى علماء آخرون إلى وضع مصطلح "شبه مجموعة" ليدلوا به على طبقات اجتماعية، وجماعات شعبية، وما شابه ذلك، وهذا الميدان يتناول مسائل مهمة منها طبيعة المجموعات الاجتماعية ونوعها، والأساس الذي يرتكز عليه تكوين المجموعة وعمليات تماسكها وفوارق عملها وبناء علاقاتها وأنماطها[4].

---

[1]- محمود فرج الدمراوش، وعلم آدم الأسماء كلها، ط1، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، 1996، ص 16.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص18.

[3]- المرجع نفسه، ص19.

[4]- هيوغ أتكن، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ط01، تر: محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1982، ص ص 38- 39.

يعالج العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية موضوع الإنسان من حيث هو حيوان اجتماعي له عقل يتميز بالذكاء والفطنة، وكلاهما ميال إلى التعميم[1].

أما فيما يخص علاقة هذا العلم بالتاريخ فعلم الاجتماع يدرس الإنسان من حيث التعرف على القوانين وتصرفات وعلاقات الناس، ومظاهر التغير الاجتماعي التي تطرأ عليهم، فالمؤرخ يحتك بهذا العلم من خلال دراسة التغير الاجتماعي في الماضي، وتتبع حركة المجتمع داخل الإطار الزمني، كما أن المؤرخ يتعامل مع عالم الاجتماع في قراءة النصوص وتفسير الأحداث التي لها علاقة بعادات ومعتقدات المجتمع ليتمكن من فهم كل التطورات من خلال غاياتها ومراميها الاجتماعية[2].

- **علم السكان أو الديمغرافيا** Démographie:

يهتم هذا العلم بدراسة السكان والتطور والخاصيات العامة بالاعتماد على المعطيات الكمية، ومن حيث علاقته بالتاريخ ، وفي هذا الصدد يرى المؤرخ فريد بن سليمان أنه وعلى أثر الحرب العالمية الثانية أفرز تعاون بين المؤرخين والديموغرافيين، أين ظهرت الديموغرافيا التاريخية ومدى أهميتها في تفسير أحداث الماضي، واستغلال كل المعطيات الديموغرافية في ذلك، بحيث تعتمد بكونها شكلا من أشكال التاريخ الكمي أساسا على عنصر متكرر داخل سلسلة متجانسة من الأحداث أو الظواهر القابلة للمقارنة فيما بينها في فترة زمنية معينة، فهي على حد قول بيار شونو: "ليست أرقاما فقط، بل هي إعادة لبعد أكثر عمقا للإنسان"[3].

- **علم الجغرافيا:**

هناك علاقة تجمع بين الجغرافيا والتاريخ، فالتاريخ ضل الإنسان على الأرض بينما الجغرافيا ضل الأرض على الزمان فالتاريخ ما هو إلا جغرافية متحركة، بينما الجغرافيا تاريخ توقف.

من خلال هذه المقاربة لا يتصور دراسة البيئة الجغرافية التي تنشأ وترعرع فيها الإنسان على سطح الأرض، وبالتالي فللبيئة أثر كبير علينا، يقول (هنري بر) Henry Berr: "... لا ريب أن أثر البيئة قوي جدا على الإنسان، فالجفاف والرطوبة والرياح والضوء والحرارة بل

---

[1]- لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ تر: عائدة سليمان عارف، دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان، 1966، ص 45.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 22.

[3]- فريد بن سليمان، مرجع سابق، ص133.

و كهرباء الجو تستطيع أن تعدل من صفات الكائن الحي تعديلا دائما أو مؤقتا، سواء كان هذا الكائن حيويا أو نباتا، وإن البيئة – بلا شك – تركت أثرها القوي في تكوين الإنسان خلقا وتقننا"[1].

وعليه ومن خلال ما تقدم فالتاريخ والجغرافيا متلازمان في الزمان والمكان فإن كان التاريخ أحداث، فإن الجغرافيا زمان ومكان تلك الأحداث، وبالتالي تؤدي إلى توجيه حياة البشرية الذين يتأثرون بالبيئة الجغرافية ويصنعون التاريخ سلبا وإيجابا، كما يسهم في الحياة الإنسانية [2].

– **الفلسفة** Philosophie:

تعتبر المفاهيم الفلسفية ضرورية لفهم وتفسير التاريخ وأحداثه، وبالتالي فالفلسفة تمكن المؤرخ من تفهم سير الأحداث من خلال التصور الفلسفي أو التطور الفكري الحضاري، فالتاريخ بحاجة ماسة للفلسفة فبدونها لا تتوفر للمؤرخ رؤيا شاملة ومفهوم منطقي تاريخي تفتقد المدى الزمني الذي بدونه تنتفي الرؤية ويبطل الفكر فلا منطق في التاريخ بدون فلسفة، ولا مضمون للفلسفة بدون تاريخ[3].

– **علم الاقتصاد** Économie:

وجب على الباحث والمؤرخ ان يكون على دراسة وعلم بالأحوال الاقتصادية للعصر الذي سيبحث فيه، فكل ما يتعلق بالعوامل الاقتصادية لذلك العصر أو بهذا تعد من جملة العوامل المؤثرة في سير التاريخ، فالظروف الاقتصادية تؤثر في السياسية الداخلية والخارجية للدول وفي علاقتها بشعوبها وبالعالم الخارجي على كافة الأصعدة وتؤثر كلها في مجرى التاريخ للدول أيضا[4].

– **العلوم السياسية والعلاقات الدولية:**

العلاقة بين التاريخ والعلوم السياسية أمر تقليدي، فلا أساس لعلم السياسية بدون تاريخ ولا ثمرة للتاريخ بدون علم السياسية، فالتاريخ هو الوحيد الذي باستطاعته أن يؤدي معنى تطور الأفكار والمؤسسات، ويمكنه أن يقدم لعلم السياسية خدمتين أساسيتين:

---

[1]– أحمد عليوي صاحب، مرجع سابق، ص 61.

[2]– للاستزادة أنظر، بلقاسم مسيوم، "العلوم المساعدة للتاريخ، الجغرافيا نموذجا"، **حوليات جامعة الجزائر 1**، ع 32، ج 01، الجزائر، 2018.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 21.

[4]– عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 60.

الأولى: دراسة عمل الحياة العامة خلال الماضي، وهو دور التاريخ السياسي، و الذي لا يكتفي فقط بوصف الحروب والنزاعات أو بعملية تاريخ الحوادث، بل يأخذ في الحسبان مجموع العوامل المفسرة.

الثانية: يستخلص علم السياسية العوامل التي تساعد على فهم أجهزة المرحلة الحالية وتصرفاتها، فأفكار الماضي وعاداته وتقاليده تلعب دورا مهما في النشاطات الحالية[1].

- علم النفس:

توجد رابطة وثيقة بين التاريخ وعلم النفس، فعندما اتجه مؤرخو القرن العشرين نحو دراسة الحوادث الاجتماعية وابتعدوا عن تركيز التاريخ على الأفراد وجهوا أنظارهم إلى دراسة نفسية الشعوب ونمط تفكيرهم فكانوا بذلك في أمس الحاجة لعلم النفس الاجتماعي إلى جانب علم النفس العام، وكان "**لوسيان فيفر**" المؤرخ الفرنسي أبرز من اهتم بهذه الدراسة، بل ودعى إلى ضرورة الاستعانة بالعلوم الإنسانية وبعلم النفس بالذات، وقد كتب موضوعا عن هذا الأمر تحت عنوان "**علم النفس والتاريخ**" في جزئه الثامن الصادر عن دائرة المعارف الإنسانية بفرنسا[2].

وبالإضافة إلى العلوم السالفة الذكر والتي تعد علوم مفسرة للتاريخ نجد أن علم الخرائط أو الكارتوغرافيا والذي يماثل في أهميته علم الجغرافيا هو علم قائم بحد ذاته يحتاجه المؤرخ في بحثه التاريخي فهو وسيلة أساسية لرصد الظواهر العمرانية والسياسية وتلمس الآثار القديمة شريطة استعمال التقنيات الحديثة، كما أن علم الأديان أو اللاهوت Théologie من العلوم المهمة كذلك مثله مثل علوم الشرائع والقانون فبدونها يصعب على المؤرخ فهم التأثيرات القديمة التي خضعت لها الشعوب عبر الزمن مما يحتم عليه الرجوع إلى المعتقدات والأديان التي اعتنقتها تلك الشعوب[3].

---

[1]- قاسم يزبك، مرجع سابق، ص 131.

[2]- ليلى الصباغ، مرجع سابق، ص 131.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص ص 20- 23.

3-3 العلوم المساعدة على فهم التاريخ وضبط أدواته:[1]

من أجل فهم ونقد وتحليل الظاهرة التاريخية تحليلا صحيحا وجديا وجب على الباحث في التاريخ الاستعانة بمجموعة من العلوم التي تساعده في فهم المادة التاريخية وضبطها جيدا ومن بين تلك العلوم:

- **اللغات:**

تعد من العلوم المساعدة التي ينبغي على الباحث التزود بها، فلا بد عليه معرفة اللغة الأصلية لموضوع بحثه، فكلما تعددت اللغات اتسع أفق المؤرخ وفتح أمامه أفق البحث والاستقصاء عليه، فمعرفة أكثر من لغة كالإنجليزية والفرنسية والايطالية والألمانية والإسبانية مهمة جدا وتساعده في المضي قدما من أجل تحري الحقيقة، فهذه اللغات غنية بتراثها الأدبي والتاريخي ولا يجوز للمؤرخ أن يفوت الثمرات التاريخية التي تنتظمها[2].

- **الأدب:**

هو وثيق الصلة بالتاريخ ومرآة العصر وتعبير عن أفكار وعواطف الإنسان ويرسم جميع مناحي حياتهم المختلفة أفرادا كانوا أو جماعات، بدوا أو حضرا، في الحرب والسلم، والرخاء والفقر، ومن العجم والفن، والحرب والسلام وكل ما يدخل تحت نطاق إدراك الإنسان وتصوره.

إن دراسة الأدب بصفة عامة توسع عقل الإنسان وتصقل نفسه وتجعله أقدر على الفهم والاستيعاب، فلابد مثلا للراغب في كتابة التاريخ من أن يتذوق الشعر لكي يفهم ملكة الخلق والابتكار، كما يمكنه قراءة شيء من القصص والروايات الأدبية وأن يتعلم فن عرض الموضوع وما شابه ذلك لكي يكون قادرا عل استيعاب ما يقدم إليه فدراسة حياة الأدباء وتجليل آثارهم وتذوقها ونقدها من ناحية اللفظ والموضوع والمعنى تقدم للمؤرخ كنزا قيما يعينه في بحثه التاريخي[3].

- **المعجميات أو الليكسوغرافيا** Lexigraphie:

يعتبرها المؤرخ ناصر الدين سعيدوني مهمة ومساعدة على فهم التاريخ حيث تساعد المؤرخ على معرفة تاريخ استعمال المفردات اللغوية وكيف تغيرت معانيها عبر الزمن، أو

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 22.

[2]- قاسم يزبك، مرجع سابق، ص ص 50- 51.

[3]- حسن عثمان، مرجع سابق، ص ص 39- 41.

عن طريق الأبحاث والدراسات التي أجريت على الكلمات والمعاني والمصطلحات والألفاظ التقنية، لأنه بدونها لا يمكن التعرف على تركيب العبارات وصياغة المفردات والارتقاء بأسلوب التعبير للوصول إلى تسجيل الأحداث التاريخية بلغة يسهل فهمها[1].

- الفنون:

تنوعت الفنون بين الرسم والتصوير والنحت والعمارة والموسيقى، هذه الأخيرة التي أدرك العالم المتحضر أهميتها كثقافة فنية إلى درجة أن أكثر المعاهد العالمية أدرجتها في مناهج الدراسة، بل وتوجد هناك فرق موسيقية في تلك المعاهد والجامعات مكونة من موهوبي الأساتذة والطلاب يقومون بعزف روائع الموسيقى الكلاسيكية، والمقصود بها هنا هو خدمة الدراسات الأدبية أو الإنسانية أو العلمية والتي من بينها دراسة التاريخ نظرا لأن هذه الثقافة الفنية الموسيقية تعمل على تهذيب النفس والسمو بالروح [2].

- علم حساب التواريخ:

يسهل هذا العلم للباحث قياس ومقارنة الزمن وضبطه، فعالم حساب التواريخ يشرح التقاويم والتواريخ العديدة التي كانت مستعملة ويستطيع أن يحوّل التواريخ من تقويم إلى آخر، نظرا لأهمية هذا العلم فقد تواجه الكثير من المؤرخين بعض التواريخ الهجرية أو العبرية أو القبطية، ويحرص حرصا شديدا على معرفة ما تعادله في التاريخ الميلادي، ويمكن الاستعانة بمصنفات التقاويم الأجنبية والعربية لدى الباحثين وفي الفترات الأخيرة إن أمكن ترتيبها اعتمادا على الحواسيب الآلية[3].

اتخذت الحضارات القديمة أساليب عدة في ضبط التواريخ وتسجيل الأحداث، فربط العبرانيون تاريخهم ببدأ الخليقة التي حددوها بعام 404 ق.م، وجعل قدماء الإغريق تاريخهم مرتبط بالدورة الأولى للألعاب الأولمبية (776 ق.م)، كما بدأ الرومان تاريخهم بتأسيس روما (752 ق.م)[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 23

[2]- حسن عثمان، مرجع سابق، ص 47.

[3]- حسان حلاق، مرجع سابق، ص 66.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 24.

المحاضرة الرابعة: الحقيقة والموضوعية في التاريخ.

1- الحقيقة في التاريخ:

طرح المؤرخ لويس جوتشلك سؤالا مهما حول هذا الموضوع بناء على ما توصل إليه من دراسات معمقة في كتابة التاريخ متسائلا ما هي الحقيقة التاريخية؟

ومن أجل الإجابة على السؤال وجب التذكير بما يلي:

أن الباحث في التاريخ ومن خلال عملية التحليل يجب عليه أن يتذكر دائما تفاصيل الوثيقة ذات العلاقة ببحثه متسائلا بينه وبين نفسه أيمكن فعلا تصديق ذلك والثقة به؟

من المفيد معرفة بأن ما وجد في الوثيقة قابل للتصديق أو يمكن الوثوق به على الأقل وإن لم يكن المؤرخ على ثقة تامة بالحدث فعلى الأقل قريب منه، ومن أجل الوصول إلى الحقيقة يستطيع المؤرخ وبعد فحص دقيق لأهم وأحسن المصادر التاريخية المتوفرة أن يتعرف على الحقيقة، وهذا معناه أن المعلومات المستقاة في حد ذاتها شبه معقولة وعليه فإن الحقيقة التاريخية يمكن أن توصف على أنها أمر معين مشتق اشتقاقا مباشرا أو غير مباشر من وثائق تاريخية موثوق بها بعد فحص دقيق لقوانين المنهج التاريخي[1].

يذكر كارل بيكر عن الحقيقة فيقول: "... يشعر المؤرخون أنهم في أمان عندما يتعاملون مع الحقائق نحن نتحدث عن "الحقائق الثابتة" و"عن الحقائق الباردة" وعن "ألا نكون قادرين على الوصول إلى الحقائق" وعن ضرورة بناء سردنا على "أساس سليم من الحقيقة"... ولكن الحقيقة البسيطة تتقلب لتكون حقيقة غير بسيطة بالمرة، ولكن... تعميم بسيط لألف حقيقة وحقيقة... بيان... تأكيد... جدل"[2].

من خلال ما ذكره بيكر تكشف بربارة شابير في كتابها عن مفهوم الحقيقة التاريخية، فتقول "أنها بيان حقيقي عن الماضي الجدير بالتصديق، وهي نفسها تطور تاريخي، وبالتدريج فقط أدان المؤرخون في بدايات العصر الحديث الخيال، والأسطورة، والسلفية، والبلاغة، وحبذوا عدم الانحياز، ووزن الأدلة والخبرة البحثية"[3].

---

[1]- لويس جوتشلك، مرجع سابق، ص 164.

[2]- بيتر تشارلز هوفر، تناقضات المؤرخين (دراسة التاريخ في زمانينا)، ترجمة قاسم عبد قاسم، ط01، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، إدارة الشؤون الفنية، مصر، 2013، ص 33.

[3]- المرجع نفسه، ص34.

يبدو أن هناك أفكار يجب أن تطرح بخصوص هذا الموضوع، فمن خلال ما ذكر يعتقد الباحثون والمؤرخون أن هناك إجابة على بعض التساؤلات على الأقل في حدود هل يجوز للمؤرخ أن يصدر أحكاما أخلاقية على أعمال الماضي.

والجواب سيكون طبعا وبحسبهم أن المؤرخ بإمكانه أن يقول الحق فيما اختلف فيه السابقون.

وعن علاقة التاريخ بالحقيقة فهو مرتبط بتصور غير نقدي لصناعة المؤرخ، إذ أن المطلوب من هذا الأخير هو التقيد بمسطرة مضبوطة في تعامله مع الشواهد الماثلة أمامه، هو أن يكون موضوعيا إذا أراد الحصول على الحقيقة، دون أن يدعي أبدا أن خلاصاته واستنتاجاته متفقة حتما مع "عين الحق"[1].

اعتبر الباحثون من أمثال **رودس** الحقائق الواردة في رواياتهم حقائق ثابتة راسخة تبدأ بها أية رواية تاريخية في الماضي، إذ كانت مصادر تلك الحقائق ثابتة، ومن مجموعها بنى المؤرخون سردياتهم، وعن ذلك يقول رودس نفسه: "... إن السجايا الضرورية لأي مؤرخ هي المثابرة والدقة وحب الحقيقة، وعدم التحيز والاستيعاب الكامل لمادته بالاختيار الحذر، والتأمل وقتا طويلا".

ومن خلال هذه المقولة يستنتج أنه إذا كانت الحقائق راسخة لأمكن للمؤرخ أن يكتب ويشيد منها روايات كاملة لأنها ستصل إلى الحقيقة مباشرة، ولن يكون التاريخ ممكنا فحسب، وإنما سيكون سهلا[2].

وجب على المؤرخ عند تحليليه لوثيقة تاريخية من أجل معرفة حقائقها المفردة أن يقترب منها ويسأل نفسه العديد من الأسئلة، دون أن يربط نفسه باتجاه معين، وإذا توفرت له الإجابة أو معرفة كافية للإجابة على أبسط أسئلته، فإن هذا يعني أنه لابد أن يكون لديه فكرة ما أو بعض الفروض المتعلقة بها، سواء أكان ذلك ضمنا أو واضحا، وسواء كان تجريبيا ومرنا أو معدا ومحددا وثابتا[3].

---

[1]– عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، (الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول)، ط04، المركز الثقافي العربي، المغرب 2005، ص 343.

[2]– بيتر تشارلز هوفر، مرجع سابق، ص 34.

[3]– لويس جوتشلك، مرجع سابق، ص 166.

ومهما يكن من أمر فإن المؤرخ افتراضيا هو صاحب القضية وهو المدافع وهو القاضي وهو هيئة المحلفين معا، فهو كقاضي لا يبعد أي دليل مهما يكن إذا كان يمت إلى القضية بصلة فبالنسبة إليه يكون أي تفصيل للدليل موضع ثقة، حتى ولو أنه يتأتى عن طريق وثيقة تم الحصول عليها بطريقة غير سوية كالغش والتزوير مثلا، أو أنها مزيفة، أو أنها مبنية على شهادة تستند على السماع ، أو أنها تتبع من شاهد له مصلحة ما دامت تستطيع أن تجتاز أربعة فحوص:

1- هل كان المصدر النهائي للتفصيل قادر على قول الحقيقة؟

2- هل كان الشاهد الأول راغبا في قول الحقيقة؟

3- هل وردت شهادة الشاهد الأول بدقة فيما يتعلق بالشهادة التي هي قيد الفحص؟

4- هل هناك إثبات مستقل للتفصيل الذي هو قيد البحث؟[1].

إن أي تفصيل (دون الرجوع والنظر إلى المصدر أو المؤلف) يجتاز هذه الفحوص الأربعة هو دليل تاريخي يمكن تصديقه، ومما يتوجب الإشارة إليه فقط هو أن الشاهد الأولي والتفصيل هما موضع الاختبار وليس المصدر كله[2].

يعتقد بعض المؤرخين بمن فيهم هاري إلمربارنز أن التسليم بأن ما يعتقده عديد من المؤرخين والباحثين- بأن كل ما هو مترابط وملموس هو حقيقة تاريخية لا يمكن الوصول إليها إلا بجمع العديد من المصادر التاريخية - هو اعتقاد خاطئ، وبأن هذا الاعتقاد خرافة وهالة كاذبة تحيط بالحقيقة التاريخية، وليس أبلغ تعريف عن الحقائق التاريخية سوى ما ذكره الأستاذ **كارل بيكر** في بحثه الشيق والممتع والمعنون بـ " **ماهي الحقائق التاريخية** " والذي ألقاه أمام الجمعية التاريخية الأمريكية في **روشستر** شهر ديسمبر 1937 حينما قال:"... أنه إذا ما قلنا ذلك تبدو الحقائق التاريخية في النهاية وكأنها اشبه بالأشياء الطبيعية شيئا صلبا وثابتا شيئا له شكله المحدد الواضح، شأنها شأن الطوب والصخور، ومعنى ذلك أن يصبح في الميسور تصور المؤرخ وهو يتجول بين حقائق الماضي، وكأنه يتجول بين أشياء صلبة جامدة تصطدم بها أرجله إذا كان غير محترس منها..."[3]، ثم مضى يقول: "... إن هذه الحقيقة التاريخية ليست إلا تعميقا لألف حقيقة من الحقائق الأبسط لا تعنينا في

---

[1]- لويس جوتشلك، مرجع سابق، ص 175.

[2]- المرجع نفسه، ص 176.

[3]- هاري إلمر بارنز، مرجع سابق، ص 86.

حاضرنا، كأننا في سردنا للتاريخ لا نستطيع أن نتناول الحقيقة الكلية مجردة من هذه الحقائق الأصغر منها العالقة بها، وضوحا، لكنها في نفس الوقت تصبح بالنسبة لنا أقل قيمة وفائدة في مجال بحثنا وعلى هذا الأساس ربما كان أكثر فائدة أن نقيم الحقيقة على أساس مدى فائدتها لنا بدلا من تقييمها على أساس صحتها أو عدم صحتها"[1].

2- الموضوعية في التاريخ:

يقصد بالموضوعية أو الشيء الموضوعي ما يوازي بين الأفراد أو بطريقة أخرى ما تتساوى علاقته بمختلف المشاهدين مهما اختلفت زاوية المشاهدة التي يفسرها الفيلسوف الأنجليزي **برتراندرسل** بقوله: "... كي نوضح الفرق بين الموضوعية والذاتية نقول: افرض أن عددا كبيرا من المتفرجين في مسرح كانوا يشاهدون في آن واحد ما يجري على خشبة المسرح ، كذلك كان في المسرح عدة آلات للتصوير تلتقط في آن واحد صور ما يجري على خشبة المسرح، فعندئذ تكون الصور التي تلتقطها الآت التصوير، وكذلك الصور التي يلتقطها المتفرجون متفقة في وجوه و مختلفة في وجوه، وسأصف بكلمة "موضوعي" ذلك الجانب الذي يشترك فيه المتفرجون جميعا، وآلات التصوير جميعا كما أني سأطلق كلمة "ذاتي" على الجوانب التي ينفرد بها المتفرج دون غيره، أو آلة من آلات التصوير دن غيرها، فسيبدو الممثل على خشبة المسرح أطول عند المتفرج القريب منه مما هو عند المتفرج البعيد، وعلى هذا فالذاتية أمر لا يقتصر على محرر الأهواء الشخصية، بل هو أحد جوانب الطبيعة نفسها، معناها أن المؤثر الواحد لا يبدو للأعين المختلفة في أوضاعها على صورة واحدة، أما إذا كان في هذا المؤثر جوانب لا تتغير صورتها عند مختلف الأعين مهما اختلفت أوضاعها، كانت تلك الجوانب المشتركة "موضوعية"[2].

من خلال هذا الوصف الذي يعتبر الأنسب في موضوع الأمانة العلمية والموضوعية التاريخية فالمؤرخ والباحث في التاريخ لابد له أن يتحلى بصفات الصدق والمصداقية منصفا في أحكامه بعيدا عن الأهواء والذاتية لأن أخطر ما يعوق الباحث هو أن يقدم على الكتابة

[1]- هاري إلمر بارنز، مرجع سابق، ص87.

[2]- محمود محمد الحويري، مرجع سابق، ص 199.

من منطلق تحيز والجنوح إلى العاطفة المشوهة أو الميل إلى المبالغة وإصدار الأحكام المسبقة دون تريث وتروي حتى تستقصى الحقائق[1].

إن القصد من مصطلح "الموضوعية" هو في حد ذاته حكم على قيمتها، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ جوانب أوجه متباينة، ذلك أن المعنى الحقيقي لموضوع يتضح من خلال ملكة النقد التي يجب أن يتحلى بها المرء وحتى على حساب نفسه متقبلا بذلك نقد الآخرين، وأن لا يتأثر بالشائعات والمسلمات الموجودة، نزيها ومستبعدا لكل ما يؤثر عليه من عوامل ذاتية، تاركا بذلك ميولاته واتجاهاته الشخصية جانبا، محايدا ومعالجا لموضوعه بتجرد تام[2].

يذهب المؤرخ فريد بن سليمان أبعد من ذلك في طرحه لإشكالية الموضوعية التاريخية، فهو يرى بأن جل المؤرخين المعاصرين خاصة ليس غايتهم البحث عن الحقيقة، وبأن الموضوعية بالنسبة اليهم أمر نسبي وسيحتل تصوّر عمل تاريخي تام وموضوعي وهنا بعد هيمنة نزعة حل القضايا الفلسفية بواسطة العلم تحت تأثير الماركسية والبنيوية على التفكير الغربي، إلى درجة أن وصل بتفكير هؤلاء المؤرخين والباحثين أن بالإمكان سن قوانين للتاريخ على غرار قوانين العلوم الطبيعية، والتجريبية والأبعد من ذلك أن اليوم تفوقت النزعة المضادة والمعروفين بأنصار النسبية في عالم شهد تحولات سريعة على كافة الأصعدة وفي مختلف المجالات بعد زوال الثنائية القطبية، لتتبدد بذلك أمور كثيرة كانت شبه يقينية لدى أكثر المؤرخين[3].

تختلف الموضوعية في العلوم الطبيعية عنها في العلوم الإنسانية الاجتماعية والأدب والفن، فمسألة الموضوعية أمر نسبي، فلو أخذنا مثلا استبيانا للاتجاهات الاجتماعية أو النفسية لوجدنا أن التحيز يظهر في وضع الاستبيان نفسه ونتيجة لذلك فقد دعت الضرورة إلى تطبيق المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية من أجل الوصول إلى الحقائق "الموضوعية" بعيدة عن التصورات الذاتية، وهذا من أكبر إنجازات ميادين العلوم الطبيعية[4].

إن مفهوم مصطلح التاريخ هو علم دراسة تطور ما في البشر، فلا يتسنى للمؤرخ إدراك ذلك التطور وإحيائه من غير الالتزام بطرق وتقنيات البحث التاريخي **(الميتودولوجيا)**

---

[1]– محمد عبد الكريم الوافي، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2008، ص 55.

[2]– محمد محمود الحويري، مرجع سابق، ص 200.

[3]– فريد بن سليمان، مرجع سابق، ص 146.

[4]– محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص 202.

المتجردة من الميول والأهواء والمتقيدة بالصدق والأمانة الموضوعية، ولعل الألماني " **ليوبولدفون رانكه**"leopoldvonranke" كان يعي جيدا القيمة العلمية في الدراسات التاريخية عندما تمنى أن يطفئ جميع رغباته بل نفسه ذاتها ليصبح مرآة صافية تنعكس عليها صورة الحوادث الماضية دون أن يكون له تأثير فيها[1].

إن الكلام والنقاش حول الموضوعية في التاريخ لا يمكن أن تفهم إلا في إطار التاريخ المدون، فقواعد التأويل تتغير في الكتابة التاريخية وفي غيرها، إلى أن يستقر الأمر على نماذج صالحة للقياس، والنسبية يحددها من يتعامل مع الحدث التاريخي بالدراسة والنقد، وقد تخرج الكتابة التاريخية عن الموضوعية إذ حاول الباحث أو المؤرخ فرض مذهب ما لتفسير التاريخ ماديا أو فكريا أو طبقيا أو دينيا بسبب ميله له وبذلك تتراجع وتنعدم الموضوعية التاريخية[2].

يؤكد الباحث رشيد باقة بأنه طالما أن الكتابة التاريخية تمر على مرحلتين (مرحلة التأريخ أو التدوين الأولي، ومرحلة الدراسة التاريخية)، فإن تزييف وتشويه الحقائق التاريخية لا يكون وليد مرحلة الدراسة، بل يحتمل أن يكون وليد المرحلة الأولى وبالتالي فإن معايير النزاهة والأمانة الموضوعية التي يجب على المؤرخ الالتزام بها لا يجب فهمها على أنها تصلح فقط عندما نريد دراسة الماضي وإعادة كتابة وقائعه[3].

إن المؤرخ الناجح والحقيقي هو الشخص الذي ينتقي المادة من مصادرها الأصلية، يحللها وينقيها ويغربلها وينظمها ويستطيع من خلالها تنوير أفكارنا عن الماضي وكيف تمخض الماضي عن الحاضر، وهذه المهمة تحتاج إلى نشاط فكري كبير من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية بكل موضوعية فالربط والتحليل التاريخيين أكثر من مجرد المضي في كتابة بحث تاريخي فحسب، بل أبعد من ذلك بكثير، ولهذا السبب نجد هناك الكثير ممن ينتمون إلى مهنة التاريخ ولا يتعدى دورهم دور طلاب بحث، ولا يمكن إطلاق اسم مؤرخين حقيقين إلا على قلة قليلة منهم[4].

---

[1]– رشيد باقة، "الموضوعية في الكتابات التاريخية حول الجزائر بين المدرسة الكلاسيكية والمدرسة الحديثة"، **الآداب والحضارة الإسلامية**، ع 20، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2017، ص 51.

[2]– للاستزادة أنظر، عبد المالك التميمي، "الموضوعية والذاتية في الكتابة التاريخية"، **عالم الفكر**، ع 04، الكويت، 2001.

[3]– رشيد باقة، المرجع السابق، ص 53.

[4]– هاري المر بارنز، مرجع سابق، ص 83.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الموجز الذي تم من خلاله التعريف بالتاريخ وتطوره واهم العلوم المساعدة له وتوضيح معنى الموضوعية والحقيقة فيه تم استنتاج ما يلي:

– التاريخ مصدر أساسي للمعرفة الإنسانية نظرا لارتباطه بماضي الشعوب وبالوجود البشري منذ بدأ الخليقة.

– تكاد تتشابه مواضيع التاريخ عند قدماء العرب في الجاهلية مع قدماء الغرب الأوروبي وبالتالي فكل ما تم تداوله مشافهة في تلك العصور اتخذ الطابع القصصي بعيدا كل البعد عن مجال التاريخ.

– تطور التاريخ العربي الإسلامي منذ صدر الإسلام وتنوعت مجالاته ونبغ فيه كثير من المؤرخين الذين اعتبروا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرا هاما وأساسيا لكتاباتهم التاريخية.

– أثرت الديانة المسيحية تأثيرا كبيرا في التدوين والكتابة التاريخية عند الغرب، فخلت بذلك كتاباتهم من الموضوعية وأخذت مسارا موجها، منكرين فضل الشرق عليهم في مرحلة ما ومركزين على أسباب سقوط الحضارة العربية الإسلامية في مرحلة أخرى، ليسهموا مع بداية عصر النهضة الأوروبية في تطوير كتاباتهم التاريخية خدمة لأمتهم.

– تداخل علم التاريخ مع العديد من العلوم الأخرى التي ساعدت المؤرخ على الإحاطة بكل الظواهر للوصول إلى نتائج موضوعية تنسجم مع طبيعة الموضوع المراد البحث فيه.

– وجب على المؤرخ أن يكون عادلا ونزيها وملتزما بأخلاق عليا في موضوع بحثه، فالكتابة التاريخية الحقيقية تحتاج إلى مؤرخ وباحث موضوعي وجاد خدمة لأمته ودولته ومجتمعه ككل.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة، مصر، 2012.
2. الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق أبو طيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية المؤتمن للتوزيع، الأردن، (د.ت.ن).
3. هرنشو، علم التاريخ، تر: عبد الحميد العبادي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1937.
4. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

ثانيا: المراجع

01- الكتب

1. جاسم سلطان، فلسفة التاريخ، الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، ط04، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، مصر، 2005.
2. خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ط01، دار توبقال للنشر، المغرب، 2012.
3. مصطفى النشار. فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي، ط01، نيويورك للنشر والتوزيع، مصر 2017.
4. إبراهيم بيضون، مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية، ط01، دار المؤرخ العربي، لبنان، 1995.
5. أحمد زكرياء الشلق، ما لتاريخ وكيف نفسره، ط01، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2016.
6. أحمد عليوي صاحب، أسس وقواعد البحث التاريخي بين النظرية والتطبيق، دار الرياحين للنشر والتوزيع، العراق، (د.ت.ن).
7. آرثر هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، تر: طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، نيويورك، و، م، أ 1997.
8. أرلوند توينبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، تر: رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 2003.
9. أرلوند توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق من هومر إلى عصر هيرانكيس، تر: لمعي المطيعي، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر 1966.
10. أرلوند توينبي، بحث في التاريخ، مج 01، تر: باقر، الفرات للنشر والتوزيع، لبنان، 2014.
11. أسد رستم، مصطلح التاريخ، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2017.
12. إسماعيل أحمد آدهم، من مصادر التاريخ الإسلامي، ط01، منشورات صلاح الدين الكبرى، (د.ب.ن)، (د.ت.ن).
13. أمين مدني، التاريخ العربي ومصادره، دار القوافل للنشر والتوزيع، السعودية، 2008.
14. أنور محمود زناتي، علم التاريخ واتجاهات تفسيره، اقتراب جديد، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، (د.ت.ن).
15. بتار ولد العربي ولد معط الله، نشأة التاريخ عند العرب المسلمين، كلية الآداب والعلوم أوباري، جامعة سبها، ليبيا.
16. بيتر تشارلز هوفر، تناقضات المؤرخين (دراسة التاريخ في زمانينا)، ترجمة قاسم عبد قاسم، ط01، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، إدارة الشؤون الفنية، مصر، 2013.
17. بيريل سمالى، المؤرخون في العصور الوسطى، ط02، تر: قاسم عبد قاسم، دار المعارف، مصر، (د.ت.ن).
18. جان سوقاجيه، كلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، تر: عبد الستار حلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للقافة، (د.ب.ن)، 1998.

19. حسام عبد الله، طرق تدريس التاريخ لجميع المراحل الدراسية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003، ص21.
20. حسان حلاق، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، (د.م.ن)، (د.ب.ن)، (د.ت.ن).
21. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط 08، دار المعارف مصر 2000.
22. حسين عاصي، ابن خلدون مؤرخا، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991.
23. حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ملتزمة للنشر والطبع، مصر، (د.ت.ن).
24. زياد عبد الكريم النجم، توينبي ونظريته التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية نموذجا)، (د.م.ن)، (د.ب.ن)، (د.ت.ن).
25. سر الختم عثمان علي، أصول تدريس التاريخ، دار أشواق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992.
26. سعد بدير الحلواني، تأريخ التاريخ، مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه، ط02، (د.م.ن)، (د.ب.ن)، 1999.
27. سيد أحمد علي الناصري، فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه، ط01، دار النهضة العربية للنشر، مصر، 1982.
28. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج01، ط03، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1983.
29. شوقي الجمل، علم التاريخ، نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 1997.
30. صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ط02، بيروت، لبنان، 2008.
31. عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر، في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر، 1993.
32. عارف أحمد اسماعيل المخلافي، محاضرات في مدارس تفسير التاريخ (فلسفة التاريخ نشأة الحضارات وتطورها وسقوطها)، ط01، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، اليمن، 2007.
33. عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000.
34. عبد العليم عبد الرحمان خضر، المسلمون وكتابة التاريخ (دراسة في التأصيل الاسمي لعلم التاريخ)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، (د.ب.ن)، 1995.
35. عبد الغني حسن وآخرون، التراجم والسير، دار المعارف، (د.ب.ن)، (د.ت.ن).
36. عبد الكريم رافق، تطور تدريس التاريخ، رسالة جامعية، الجامعة السورية، سوريا، 1955/ 1956.
37. عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، ط01، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2011.
38. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، (الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول)، ط04، المركز الثقافي العربي، المغرب 2005.
39. عبد الله طه عبد الله سلماني، منهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.
40. عبد الله فياض، التاريخ فكرة ومنهجا، دراسة في التاريخ وأصول بحثه، مطبعة أسعد، بغداد، العراق، 1972.
41. عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ط01، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004.
42. علي إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط، ط02، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1963.

43. علي إبراهيم حسن، استخراج المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط، ط2، مكتبة النهضة المصرية، مصر 1963.
44. علي أدهم، من التاريخ 03 (بعض مؤرخي الإسلام)، مكتبة نهضة، مصر، 2003.
45. علي عبود وآخرون ، فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم، ط1، دار الروافد الثقافية، ناشرون، لبنان، 2012.
46. فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000.
47. قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1990.
48. كارلتونداس كون، ادوارد أ– هيت، السلالات البشرية الحالية، تر: محمد السيد غلاب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، سبتمبر، 1975.
49. كب، علم التاريخ، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1981.
50. لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ تر: عائدة سليمان عارف، دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان، 1966، ص 45.
51. ليلى الصباغ، منهجية البحث التاريخي، (د.م.ن)، (د.د.ن)، (د.ت.ن).
52. ماري لين رامبولا، دليل الكتابة التاريخية، تر: تركي بن فهد آل سعود، محمد بن عبد الله الفريح، دار الملك فهد بن عبد العزيز للنشر، السعودية، 1434هـ.
53. محمد العربي معريش، دليل الطالب في منهجية البحث والعرض التاريخيين، عالم تنشيط الشباب، ط01، الجزائر، 1997.
54. محمد بن صامل السلمي، المدخل إلى علم التاريخ، ط02، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، السعودية، 2009.
55. محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط01، دار ابن الجوزي للنشر، المملكة العربية السعودية، 1429هـ.
56. محمد بن عميرة، منهجية البحث التاريخي، ط02، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
57. محمد عبد الكريم الوافي، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2008.
58. محمد موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، ط01، نشر وتوزيع دار الأمة، السعودية، 2016.
59. محمود فرج الدمراوش، وعلم آدم الأسماء كلها، ط1، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، 1996.
60. محمود محمد الحويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2001.
61. محمود موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، ط01، نشر وتوزيع، دار الامة، العربية السعودية، 2016.
62. ميمونة ميرغني حمزة، دراسات في منهجية البحث التاريخي، ط01، منشورات المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 2010.
63. ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.
64. نجاة سليم محاسيس، مفاتيح علم التاريخ، ط01، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010.
65. نيفين جمعة علن الدين، فلسفة التاريخ عند أرلوند توينبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991.
66. هاري ألمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج2، تر: محمد عبد الرحمان الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1987.
67. هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971.

68. هناء غانم، فلسفة الحضارة، مطبعة ابن خلدون، سوريا، 1982.
69. هيوغ أتكن، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ط01، تر: محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1982.
70. هاشم يحي الملاح، المفضل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمة، لبنان، 1971.

02- المقالات وأعمال الملتقيات

1. بلقاسم مسيوم، "العلوم المساعدة للتاريخ، الجغرافيا نموذجا"، **حوليات جامعة الجزائر 1**، ع 32، ج 01، الجزائر، 2018.
2. حميدة مجول النعيمي وآخرون، إضاءات مشرقة في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، وقائع المؤتمر الدولي الثالث في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، مج 01 – 05- 07 ديسمبر، مؤسسة الشارقة الدولية، الإمارات العربية المتحدة، 2017.
3. رشيد باقة، "الموضوعية في الكتابات التاريخية حول الجزائر بين المدرسة الكلاسيكية والمدرسة الحديثة"، **الآداب والحضارة الإسلامية**، ع 20، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2017.
4. عبد المالك التميمي، "الموضوعية والذاتية في الكتابة التاريخية"، **عالم الفكر**، ع 04، الكويت، 2001.
5. مبارك جعفري، "ابن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ من خلال كتاب المقدمة"، **مجلة الحقيقة**، ع 32، جامعة أحمد داريه، أدرار، الجزائر، 2020.
6. نذير معيزي، "أسس المنهج التاريخي عند ابن خلدون"، **رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية**، مج 01، ع 02، الجزائر، 2020.